ثقافات الشعوب





صبيّ أعماق البحار

قصص شعبية من الإسكيمو

جمع: نود راسموسن
ترجمة: نجاح سفر

صبيّ أعماق البحار
حكايات شعبية من الإسكيمو

جمع:
نود راسموسن

ترجمة:
نجاح سفر





صبيّ أعماق البحار

حكايات شعبية من الإسكيمو

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

صبي أعماق البحار: حكايات شعبية من الأسكيمو

الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

E99.E7.R37712 2009
Rasmussem, Knud, 1879 - 1933.
[Eskimo Folk Tales]

صبي أعماق البحار: حكايات شعبية من الأسكيمو/ جمع نود راسموسن، وليام جون ألكسندر ورسلر؛ ترجمة نجاح سفر. - ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
134ص: 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 978-9948-01-336-5
ترجمة كتاب: Eskimo Folk Tales
1 - القصص الشعبية - جرينلاند. 2 - الحكايات - جرينلاند. أ- سفر، نجاح.
ب- Worster, William John Alexander.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان



info@kalima.ae
www.kalima.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+



www.adach.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

المحتويات

هذه السلسلة

تأتـي هــذه السلسلة التـي تجمع تـراث الشعوب مــن الحكايات والأساطـير والخرافــات الشعبية، منسجمة مع الأهــداف والقيم التي اختطتهــا لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العــالم العربــي. تلــك القيــم والأهداف التــي تسعــى أبوظبي إلى تجسيدهــا، لتشيع ثقافة التسامح والحــوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها ، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعــراق والجنسيات والثقافــات، وجمعها تحت سقــف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها – مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة – تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في

أقاصي الغرب، أو شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

تقديم

جُمعت هذه الحكايات من مناطق مختلفة من جزيرة غرينلاند[1]، وقد استقاها من شفاه رواة حكايات الإسكيمو المستكشف الدانماركي نود راسموسن الذي ليس من شخص مؤهل أكثر منه لهذه المهمة، فهو إلى حدّ ما من أصول إسكيمية، كما أنه قضى طفولته في غرينلاند، وإليها عاد مرة بعد مرة دارساً مستكشفاً وعابراً الصحراء الجليدية، مسجلاً مجموعات فريدة من المواد والوقائع وغيرها حول مناطق تلك الأراضي الشاسعة شبه المجهولة، وقد أكسبته إنجازاته في هذه البعثات الكثير من التكريم والتقدير من قبل المجتمعات المتحضرة.

بيد أن إنجاز راسموسن الأكبر يكمن في أنه شرح حياة السكان الأصليين في تلك المناطق وعاداتهم وتقاليدهم. اسمه الأصلي هو «كانونغواك»، وهو المعروف به في بلاده، مما جعله يحوز ثقة أهل البلاد، ومكنه من أن يكون بمثابة واسطة بينهم وبين بقية

(1) موطن الإسكيمو، تعد أكبر جزيرة في العالم تتمتع بالحكم الذاتي وهي تقع تحت سيطرة الدانمارك، وتقع إلى الشمال من القطب الشمالي (المراجع).

العالم. ومن الطبيعي أن يتكوّن عمله من الأبحاث العلمية، ومن مجموعات الحقائق والعينات، والتي تتطلب كلها معرفة مسبقة بالموضوع بغية فهمه فهماً عميقاً. وهذا العمل يشكّل إضافة كبيرة إلى المعارف الإنسانية، لكنه لا يزال مجهولاً من قبل غالبية الناس. أما الكتاب الذي بين أيدينا فهو موضوع أساساً كعمل فلكلوري أكثر منه دراسة علمية.

لم تنشر بعد المجموعة الأصلية الكاملة من الحكايات والأساطير التي جمعها نود راسموسن تحت رعاية مؤسسة كارلسبرغ[1]. وخلال اختيار هذه المختارات، سعيتُ إلى أن أنتقي من مجموع الحكايات تلك الأكثر تعبيراً والتي تعطي صورة واضحة عن حياة أهل الإسكيمو وأفكارهم. وقد اخترنا من النصوص أوضحها، أما تلك الغامضة والمشكوك في معانيها فقد اخترنا حذفها بهدف جعل السرد مفهوماً بالنسبة إلى القارئ العادي.

وفي حالات كثيرة ارتأينا أنه يجب العمل على تحرير حكايات السكان الأصليين، والتخفيف من بعض التعابير الفظة، مع احترام التفاصيل في الأصل، ويمكن لأي محتج على هذا المنهج العودة إلى النسخة الإنجليزية غير المختصرة من الحكايات، إذ سيجد

(1) تأسست عام 1885 بهدف تمويل الأبحاث العلمية (المراجع).

في ذلك دفاعاً كافياً عن وجهة النظر هذه. أما بالنسبة إلى بقية الحكايات فقد سعيت للحفاظ على دقة روح الحكايات الأصلية ونبرتها قدر الممكن، فاستعنت علاوة على النسخة الموضوعة بلغة الإسكيمو بالنسخة الدانماركية للسيد راسموسن.

وبالنظر إلى مضمون الحكايات سنجد أن تلك الماثلة أمامنا ترسم بصورة أكثر وضوحاً من الدراسات الموضوعية، الحياة اليومية للإسكيمو، وأنماط تفكيرهم، ومفهومهم عن الكون، وعالمهم الروحي المكون من ديانتهم البدائية أو الأسطورية.

أما من ناحية الشكل فتتمتع هذه الحكايات بخاصية فريدة. فهدف راوي حكايات الإسكيمو هو تزجية الوقت في أثناء ساعات الظلمة الطويلة حتى يبعث النوم في عيون سامعيه، فيكون قد حقّق الهدف المرتجي. وغالباً ما يُقدم الراوي حكايته الفريدة بإعلان فخور مثل «لم يسمع أحد قط بهذه الحكاية...». وبذلك تصبح رواية القصة نوعاً من المبارزة بين قدرته على الاختراع الدائم وحبك التفاصيل من ناحية، وبين قدرة مستمعيه على الصبر والإصغاء. بين أن الحكايات ليست مطولة كما قد يُتوقع، فنحن نجد تنويعات قصيرة أو طويلة للثيمة نفسها. وقد قمنا في مختاراتنا الحالية بانتقاء الحكايات ذات الطول المعقول.

أما الثيمات نفسها فهي بالطبع تحتمل التطويل والاستمرار بها إلى ما لا نهاية.

في تقنية الرواية العادية نجد عادة توازناً معيناً، أو تناسباً منطقياً، تتوزع بحسبه الثيمات المتنوعة والمشاهد والأحداث. ولا يلحظ القارئ العادي ذلك كقاعدة، لسبب بسيط هو أن هذا التوزيع موجود دائماً. أما حكايات الإسكيمو فتكاد تغفل بالكامل مثل هذا التناسب، وأي تفصيل سواء كان حقيقة أم خيالاً يمكن توسعته وقتما يشاء الراوي، فرحلة تبعد مئات الأميال يمكن اختصارها بكلمات محدودة «ثم مضى مبتعداً ناحية الشمال، حتى وصل إلى مكان...». وهذا نجده مثلاً في حكاية «الرجل الذي خرج بحثاً عن ابنه»، والتي لا تزيد عن بضع صفحات، مع أنها تسجيل لست مغامرات مميزة منسوجة حول الثيمة الرئيسية، أي البحث عن الابن. وبالتالي فهي تتوازى مع قصص «الرحلات الشعبية» الأوروبية في العصور الوسطى، عندما كان يتمّ توظيف أي نوع من الرحلات كخيط تتجمع حوله أنواع من النوادر والمغامرات. وحكاية أتونغيت الذي يمضي في رحلة فيقابل العرجان والعُسر وما شابه، هي مثال على نموذج كلاسيكي معروف من العصور الوسطى.

وتمثل الحكايات الأسطورية بعض المظاهر الشيقة حين تُقارن بالمعتقدات والتراث الشعبي للشعوب الأخرى. فأسطورة الرجال الذين ذهبوا في رحلة حول العالم، قائمة أساساً على مفهوم أن العالم دائري. ونجد أيضاً أسطورة الطوفان لكنه هنا مدعوم بدليل جيولوجي يقدّره السكان الأصليون مثل العثور على قواقع بحرية فوق التلال. أما مبدأ المد والجزر فيُعرّف بشكل ما في حكاية خرافية، إذ يقول الرجل القمر للرجل صعب المراس: «لن يكون هناك انحسار للمدّ أو فيضان للمياه لو قمت بخنقي».

وتُفسّر كوكبة الدب الأكبر في إحدى الحكايات، وأصل كوكب الزهرة في أخرى. وفي حكاية «نشأة البشر» نرى أن أرواح الراحلين مرتبطة بالنجوم. ويبدو أن هناك تداخلاً كبيراً مع الثقافة المسيحية والعلم الحديث في النظرة العامة إلى الحياة، لكنها تأتي مغلفة مثل ذرة رمل داخل محارة، حتى تظهرها الحكايات كتجليات للروح الشعرية المحلية التي تشكل بيئة الإسكيمو.

كما نجد دليلاً دائماً على الاشتقاق من المصادر المبكرة للفلكلور والأسطورة، بالتوازي مع الحكايات الخرافية

والأساطير في بلاد أخرى وعصور مختلفة. فهناك رواية أخرى لثيمة «اللحية الزرقاء»[1] تتجسد في حكاية «إيمارسغوساك» الذي «قيل إنه كان معتاداً على أكل زوجاته». ونجد أمثلة كثيرة على الصداقة والعاطفة بين الكائنات البشرية والحيوانات، كما في حكاية «العجوز التي اتخذت الدب ربيباً».

وهناك تشابكات متنوعة للحكايات الخرافية المعروفة التي يمكن رؤيتها في قصص مثل «النسر والحوت»، التي يشرع فيها الإخوة في إنقاذ أختيهم من الزوجين اللذين أسراهما. وهنا أيضاً نتعرف الحيل الكلاسيكية القديمة للهاربين الذين يلقون أشياء خلفهم لوقف مطارديهم.

كما يتضح مفهوم العالم السفلي في قصة «كونيغسيك» وغيرها كمثال صادم على هذه الصلة بالأساطير القديمة المعروفة. فيأتي كونيغسيك إلى أرض الأرواح ويقابل أمه الميتة، لكن عليها ألا تقبّله لأنه «في زيارة هنا فقط»، أو أيضاً «لو أكلت من هذا التوت فلن تعود ثانية». ويتجلى العالم السفلي بوصفه فردوس الوجود الذي تنعدم فيه الهموم، وهو على طراز دانتي جزئياً، إذ يقول الموتى للزائر: «أحضر ثلجاً حين تعود من جديد، لأننا عطاشى للماء البارد هنا».

---

(1) حكاية شعبية معروفة كتبها عام 1697 الكاتب الفرنسي شارل بيرو (المراجع).

وحين يعود يجد المسافر الذي ارتحل بعيداً عن الأرض، أن ما حسبه ساعة غياب، قد امتدّ لسنوات.

وتظهر أرواح الراحلين لعشيرتهم على الأرض من خلال وسيط، بشرط «ألا يحكى عن ذلك». فأنت تفقد قوى السحر أو الهبات بمجرد أن تخبر الآخرين عن كيفية وصولها إليك. وتصبح هذه الهبات الروحية خاضعة لبعض الشروط التي عليك التقيد بها، من قبيل: «اختر واحداً لا أكثر»، أو «لو صدت أكثر من فقمة في اليوم، فلن تتمكن من صيد أي فقمة فيما بعد».

وغالباً ما تظهر تقنية الحكايات الخرافية هنا. فهناك سلسلة من الاختبارات يجب أن يمرّ بها بطل الحكاية واحداً بعد الآخر. فحين يجد كوجافارسوك الهيكل العظمي كما أمره الساحر، يصبح عليه البحث عن حجر الذبح، نرى أن هذا علاوة طبعاً عن قيمته الجمالية كعنصر تشويقي يشكل أداة للحكواتي الذي يريد إطالة الحكاية. كما نجد الانتقال الشائع من شيء عظيم أو رائع إلى شيء أعظم أو أكثر روعة، فتظهر امرأة «ترتدي ملابس أجمل من تلك التي ارتدتها في اليوم السابق». قد يتذكر الأطفال الإنجليز هنا كلب هانز

أندرسون[1] «الذي له عينان كبيرتان كالأطباق... عينان كبيرتان مثل راندیتارن[2].

ويتردد كثيراً في هذه الحكايات استخدام «القوى السحرية»، التي تبدو في الواقع طريقة مقبولة بشكل عام للتخلص من أي مشكلات، فمجرد أن يقع البطل في موقف لا مخرج منه بالطرق العادية، نكتشف أنه يتمتع بقوى سحرية، ويصبح الباقي بالطبع سهلاً. وهناك مثال مبهج لما قد تصبح عليه مثل هذه القدرة المفيدة حين تُروى وتظلّ فعالة، كما نرى في حالة القرية التي لا يوجد بها ساحر يساعدها في وقت المجاعة، حتى «يتكشّف» أن إيكاردليتورسوك «كان قد جلس سابقاً على ركبتَي أحد الحاضرين عندما كان السحرة يحضّرون أرواحهم المساعدة». وهو بفضل هذه الرابطة البعيدة، يتمكن من تحويل الجليد إلى طعام.

كما نرى أن هناك ميلاً عاماً نحو مفهوم تجسيد الآلهة ككائنات خارقة. فرجل القمر لديه مخزون من الحراب كأي صياد محترف، وروح الجبل له زوجة وأطفال. ويتم تمثيل الحياة

---

(1) هانز أندرسون، صاحب كتاب الأطفال الشهير «حكايات خرافية» (م).

(2) راندیتارن: البرج الدائري، وهو برج من القرن السابع عشر، يقع في كوبنهاغن، الدانمارك، وهو جزء من مجمع ترينيتاتيس، الذي أسس لتدريس علوم الفلك، الدين وكمكتبة للجامعة (م).

وترتيبات الأرواح الأليفة كثيراً حتى تصبح مشابهة لما يألفه راوي الحكاية وسامعوه، مثلما نجد ذلك مرئياً في أحيان كثيرة في اللوحات الإيطالية المبكرة، التي تمثّل فيها الشخصيات المرسومة بأزياء المكان وبيئته وتلك الفترة التي كان يعيش فيها الفنان.

ويبدو نمط السرد غرائبياً، فالحكايات مفتوحة بشكل عام مع بعض المناورات المقبولة. «كان يا مكان هناك رجل...»، أو «كان هناك ولد يتيم في منزل به إخوة كُثر». وتفضي النهاية أحياناً إلى نوع من الحكمة، كما يحدث مع أوكاليك الذي بعد فراره من الدب المسحور «لا يخرج لصيد الدببة ثانية». لكن الشكل المعتاد موازٍ لعبارة «عاش سعيداً بعد ذلك» أو تأتي النهاية أكثر صراحة، مثل «وهنا تنتهي الحكاية» أو «ذلك كل ما نعرفه عن هذا»، إلخ. وقد يكون مثل هذا التلميح ضرورياً إذ تترك «نهاية» أي قصة غالباً مشهداً معقولاً يفضي إلى تطور أبعد.

ومن الخصائص المميزة لهذه الحكايات أن المرء لا يعرف ماذا سيحدث فيها. كما تتحقق العدالة الشعرية غالباً، لكن ليس دائماً، كما في حكاية «كاغساغوسيك». هناك حكاية أو اثنتان من هذه الحكايات ضعيفتان ساذجتان ينقصهما الحدث، فيظلّ القارئ يتوقّع حدوث شيء، ولا يحدث شيء... ويظل لا شيء

يحدث... ثم تنتهي الحكاية، كما في حكاية «بواغسواك». وقد يصعب تتبع المجرى الصحيح للحوار أو الحدث بين شخصيتين، لأن الضمير «هو» يجري استخدامه مع كلا الشخصيتين.

إن راوي الحكاية، ورغم حرصه على الشكل التقليدي، لا يفعل ذلك من دون تدخل نقدي من جانبه. فهو يضيف بين الحين والآخر توضيحاً صغيراً من عنده، كأنه اعتذار، مثل «كان هناك رجل أعزب، وهذه الطريقة التي تبدأ فيها الحكايات دائماً». أو أنه يبدأ بطريقة مرحة: «آه، كما هو معتاد دوماً، كان هناك رجل قوي، وله زوجة. واعتاد طبعاً أن يضربها...».

ويتم إقحام لمسة تفسير من هنا وهناك، مثل: «كان هذا يحدث في الأيام القديمة»، أو «هكذا كان يفكر الناس في الأزمنة القديمة». وهناك تعريف عام للفرق بين الأزمنة القديمة والأزمنة الجديدة. والطريقة التي يرى بها الراوي هذا الفرق تكشف عن اتجاهين مميزين للتفكير، والمزج بينهما يظهر من خلال ثقافة الإسكيمو حتى اليوم. فهناك اتجاه للتسامح المتعجرف كما حين يقال: «هكذا اعتاد أسلافنا أن يفعلوا، لأنهم كانوا قوماً جهلة». وأحياناً نجد العكس تماماً، مع رثاء الحاضر مقارنة بالماضي المجيد «حينما كان الرجال يجيدون التجذيف بمهارة في القوارب»، أو

«حينما كان يحدث هذا أو ذاك بطرق سحرية».

وهنا قد تصل الحكايات إلى مستويات شعرية عالية؛ ذلك الأسى على انقضاء «الأزمنة الماضية» سواء كان عصر القوة الأكبر والفضيلة، الشجاعة الأكبر والمهارة، أو أزمنة الرومانسية الذهبية، ففي هذا لمسة لأثر أكثر إنسانية. فهو يمنح أولئك الصيادين البائسين في الإسكيمو، المُبعدين عن وسائل متعتهم وأمانهم، التي تسبق عادة نمو الفن، مكانتهم بين شعراء العالم.

و. و. وورستر[1]

---

(1) مترجم الكتاب إلى الإنجليزية.

الصديقان اللذان قررا السفر عبر العالم

كان في قديم الزمان رجلان قررا السفر حول العالم، لكي يعودا ويخبرا الآخرين عن أحواله.

حدث ذلك حينما كان البشر كثرة على الأرض، وكانوا منتشرين في طول البلاد وعرضها. لكن عددنا يقل الآن تدريجياً. فقد سيطر الشر والمرض على البشر. انظروا كيف أصبحت، أنا الراوي، أجرّ حياتي جراً، عاجزاً عن الوقوف على قدمي.

كان الرجلان اللذان قررا السفر قد اتخذا زوجتين حديثاً، وبالتالي لم يرزقا بعد بالأطفال. ثم صنعا كوبين من قرنَي ثور المسك[1]. وانطلقا، كل في اتجاه، على أمل أن يسيرا في طريقين مختلفين قبل أن يجتمعا ذات يوم. سافرا بالزلاجات، واختار كل منهما أرضاً يقيم فيها طيلة الصيف.

(1) ثور المسك: ثور بري غرينلندي او أمريكي (م)

استغرقا وقتاً طويلاً في جولتيهما حول العالم، رزقا خلالها بالأطفال، حتى صارا عجوزين، ثم كبر أطفالهما أيضاً، وحين عجز الوالدان عن السير بمضيّ العمر، قادهما الأولاد.

وفي نهاية أحد الأيام، التقيا، ولم يكن قد بقي من كوبيهما المصنوعين من قرني الثور سوى المقبضين، فقد شربا خلال رحلتيهما الكثير من الماء، وكانا يغرزان القرنين في الأرض ليتمكنا من ملئهما. قالا عندما التقيا: الدنيا كبيرة فعلاً.

كانا يافعين عند بداية رحلتهما، والآن هما عجوزان، يقودهما أطفالهما.

الدنيا كبيرة فعلاً.

نشأة الإنسان، منذ زمن بعيد، بعيد جداً

أخبرنا أسلافنا الكثيرون عن نشأة الأرض والبشر، وكان ذلك منذ زمن بعيد جداً. أولئك الذين عاشوا قديماً، لم يعرفوا كيف يحفظون كلماتهم في رموز سوداء صغيرة، كما تفعلون، وكل ما كانوا يفعلونه هو سرد الحكايات. وقالوا الكثير من الأشياء، فأصبحت لدينا معرفة بتلك الأشياء التي لطالما سمعناها منذ كنا صغاراً. لا تضيع النسوة العجائز أوقاتهنّ في رواية التفاهات، ونحن نؤمن بما يقلن. فالكبار لا يكذبون.

وقبل زمن طويل جداً، إبّان تشكّل الأرض، سقطت من السماء. كل شيء سقط من السماء: التربة، والهضاب، والحجارة، وهكذا تشكلت الأرض.

وبعد تشكل الأرض، جاء البشر.

قيل إنهم خرجوا من الأرض. في البدء خرج الأطفال. برزوا من شجيرات الصفصاف، وكانت أجسادهم مغطاة بأوراق الصفصاف. ثم استلقوا بين الشجيرات الصغيرة: استلقوا وحرّكوا أرجلهم، لأنهم لم يتمكنوا حتى من الزحف. وتناولوا طعامهم من الأرض.

ثم حدث شيء بخصوص المرأة والرجل، لكن ما هو؟ لم يكن الأمر معروفاً. متى التقيا، ومتى كبرا؟ لا أعرف. كانت المرأة تخيط، وتصنع ملابس الأطفال وتتجول. عندها وجدت أطفالاً صغاراً، ألبستهم الملابس، وجلبتهم إلى المنزل.

وفي هذه الأثناء راح عدد البشر يتزايد.

ولأنهم كثروا، رغبوا في اقتناء الكلاب. خرج الرجل وهو يحمل رسناً بيده، وبدأ يدوس الأرض بقوة صارخاً: «هوك، هوك، هوك!»، عندها خرجت الكلاب مسرعة من قلب الهضاب، ونفضت نفسها بعنف لتتخلص من الرمال التي تغطيها. وهكذا وجد الرجال الكلاب.

لكن بعدها بدأ الأطفال بالتوالد، وزاد عدد البشر كثيراً على الأرض. لم يكونوا يعرفون شيئا عن الموت في تلك الأيام، قبل زمن طويل جداً، وكانوا يعمّرون طويلاً. صاروا عاجزين عن المشي، وفقدوا أبصارهم، لكنهم لم يتمكنوا من الموت.

كما أنهم لم يعرفوا الشمس، فقد عاشوا في الظلام. لم يطلع عليهم نهار أبداً. كانوا يضيئون داخل بيوتهم بالمصابيح، التي يوقدونها بالماء، فالماء كان يشتعل في تلك الأزمنة.

لكن أولئك البشر الذين لم يعرفوا معنى الموت، ازدادوا كثيراً وتزاحموا في الأرض. بعدها جاء طوفان ضخم، فغرق كثير منهم، وتضاءل عدد البشر. ولا نزال نرى علامات ذلك الطوفان العظيم، على قمم الهضاب العالية، حيث توجد غالباً أصداف بلح البحر.

وبعد أن بدأ عدد البشر يقلّ، تحدثت امرأتان عجوزان على النحو الآتي:

قالت إحداهما: «من الأفضل أن نعيش من دون نهار، طالما لا يوجد موت».

فردّت الأخرى: «لا، ليكن لدينا النهار والموت».

وعندما تفوهت العجوز بتلك الكلمات، فكأنها تمنت أمنية. فقد جاء النهار والموت.

قيل إنه عندما مات أول إنسان، غطى الآخرون جسده بالحجارة. لكن الجسد عاد ثانية، بسبب عدم معرفته بكيفية الموت. رفع رأسه قاعداً، وحاول النهوض. لكن امرأة عجوز دفعته إلى الخلف، وقالت: «لدينا الكثير لنحمله معنا وزلاجاتنا صغيرة».

فقد كانوا في طريقهم لرحلة صيد. وأُجبر الميت على العودة إلى كومة الحجارة.

والآن، بعد أن حصل البشر على النور في أرضهم، باتوا قادرين على الذهاب في رحلات، والخروج للصيد، ولم يعد أكلهم مقتصراً على ما تنتجه الأرض، ومع الموت جاء أيضاً الشمس والقمر والنجوم.

وحين يموت البشر، يصعدون إلى السماء حيث يتحولون إلى نجوم متلألئة.

نوكونغواسيك الذي هرب من التوبيلاك

قيل إن نوكونغواسيك كان يملك أرضاً في مكان ما مع العديد من إخوته، الذين كانوا يخرجون للصيد ويعطونه اللحم ليضعها في القدر[1]، فلم تكن له زوجة.

وفي أحد الأيام جذف باتجاه الشمال في زورق الكاياك[2]، وفجأة طلع في رأسه أن يتجه إلى جزيرة كبيرة لم يزرها من قبل، وكان يتمنى رؤيتها، ثم نزل إلى اليابسة ومضى ليستطلع الأرض، كانت في منتهى الجمال.

وهناك وجد أخاه الأوسط، رآه مشغولاً بشيء ثم نزل في حفرة وراح يهمس طوال الوقت. فزحف خلسة تجاهه، وعندما اقترب، سمعه يهمس بالكلمات التالية: «عليكَ أن تعضّ نوكونغواسيك حتى الموت، عليكَ أن تعضّ نوكونغواسيك حتى الموت».

(1) لكي يقوم بطهيها (م).
(2) الكاياك: زورق جلدي من زوارق الأسكيمو (م)

كان من الواضح أن أخاه الأوسط يصنع توبيلاك[1]، وكان يأمره بما عليه فعله. لكن نوكونغواسيك ضربه فجأة على جنبه وقال: «لكن أين هو نوغونغواسيك هذا؟»

فخاف الرجل كثيراً حتى وقع ميتاً. عندها لاحظ نوكونغواسيك أن الرجل ترك التوبيلاك يشمشم جثته، فصار التوبيلاك حياً وراح يتنفس. لكن بسبب خوف نوكونغواسيك من التوبيلاك، ابتعد متفادياً الإساءة إليه.

وهكذا أخذ يجذف إلى المنزل، وهناك كان إخوته الكُثر ينتظرون بفارغ الصبر عودة أخيهم الأوسط. غابت الشمس أخيراً، ولم يعد، وحل نهار ثان، وبينما كانوا يتجهزون للخروج بحثاً عنه، قال أكبرهم لنوكونغواسيك: «تعال معنا يا نوكونغواسيك، علينا البحث عنه».

فاضطر نوكونغواسيك للذهاب معهم، لكن عندما لم يجدوا شيئا قال: «هل تودون الذهاب للبحث عنه على تلك الجزيرة التي لم يطأها أحد من قبل؟».

(1) توبيلاك: مجموعة واسعة من الأشكال الصغيرة التي تمثل مخلوقات خرافية أو روحانية تصنع من أطراف الحيوانات وشعر الإنسان، وبعض أجزائها يصنع من جثث الأطفال، يصنعها أشخاص يملكون قدرات سحرية، ويستخدمونها للإنتقام من الأعداء (المؤلف).

وعندما ذهبوا إلى هناك، قال نوكونغواسيك: «الآن يمكنكم الذهاب للبحث عنه في الجهة الجنوبية».

وعندما وصل الإخوة إلى المكان، سمعهم يصرخون، وقال أكبرهم: «يا لك من حقير! لماذا تدخلت في مثل هذه الأمور!».

وسمعهم ينتحبون جميعاً حول الرجل الميت.

ذهب نوكونغواسيك إليهم فوجد التوبيلاك مستلقياً وهو لا يزال حياً، وينقر الجثة. لكن الإخوة دفنوه هناك، ووضعوا كومة من الحجارة فوقه. ثم عادوا إلى منزلهم.

وعاش نوكونغواسيك هناك حتى طعن في السن، ومات في النهاية بعد أن عاش طويلاً. وهنا تنتهي الحكاية: فأنا لا أعرف المزيد.

كوجافارسوك

كان هناك رجل قوي[1] يملك أرضاً في إكرسواك[2]. ولم يكن سواه[3] سوى شيخ يقتصر طعامه على الأخطبوط، وعندما يصطاد الرجل القوي ما يفيض عن حاجته من اللحم، يعطيه للشيخ، الذي كان يقايضه بالسمك.

لم يكن الرجل القوي يخفق قطّ، كما يقولون، في صيد الفقمة في كل مرة يخرج فيها للصيد، لكنه بات ميالاً إلى الصمت مع مرور الأيام، ثم لم يعد يتكلم أبداً. وكان السبب بلا شك أنه لم يرزق بأطفال.

كان الشيخ ساحراً، فجاء إليه الرجل القوي يوماً وقال: «غداً، عندما تنزل زوجتي إلى الشاطئ القريب من المكان الذي تصطاد فيه، اذهب إليها والمسها وسأعطيك بعض صيدي يومياً».

(1) شاب، أي في التعارض مع الآخر الشيخ (م).
(2) قرية في غرينلاند (م).
(3) من الرجال (م).

وكان سبب ذلك هو رغبته في أن تحمل زوجته، فكان يتمنى ذلك من كل قلبه، لكنه لم يتحقق.

لم ينسَ الشيخ الكلمات التي قيلت له.

ثم قال الرجل القوي لزوجته: «غداً، عندما يخرج الشيخ إلى الصيد اذهبي إلى الشاطئ القريب منه».

فعلت الزوجة ما قال. فبعد استيقاظها من النوم في صباح اليوم التالي، راقبت خروج الشيخ. وعندما جذّف بعيداً، ارتدت أجمل ما عندها من ملابس وتبعته على طول الشاطئ. وحين أصبحت في مرمى بصره، شرع بالصيد. عندئذ وقفت على الشاطئ تنظر نحوه. فنظر إليها ثم إلى البحر، ودام الأمر طويلاً. وقفت هناك تنتظر بفارغ الصبر، وهي تنظر إليه، لكنه لم يتقدم باتجاهها، فعادت إلى المنزل، من دون أن يلمسها الساحر لمسته السحرية.

وحالما عادت إلى المنزل، هُرِع زوجها إلى الشيخ وسأله: «ألم تقترب من زوجتي اليوم؟».

قال الشيخ: «لا».

فقال الرجل القوي للمرة الثانية: «إذن حاول ذلك غداً».

وعندما عاد الشيخ إلى منزله، لم ينس كلمات الرجل القوي. في المساء، أعاد الرجل القوي كلامه لزوجته.

ناما، واستيقظا، وخرج الرجل القوي لصيده كعادته. ثم انتظرت زوجته خروج الشيخ، وحالما شاهدته يخرج، ارتدت أجمل ما لديها من ملابس وتبعته. واصلت سيرها حتى أصبحت على مرمى بصره عند الماء، حيث يجلس الشيخ بقاربه كل يوم ليصيد. عندها أدار رأسه ورآها، فاقترب منها هذه المرة ولمسها لمسته السحرية.

ثم عاد ثانية إلى البحر ثانية، لكنه لم يتمكن من اصطياد أي سمكة في ذلك اليوم.

بعد مضي وقت قصير، اقترب منه الرجل القوي وقال له: «ربما أخفقت اليوم أيضاً في ما اتفقنا عليه؟».

فأدار الشيخ رأسه ، وقال: «لقد تمّ السحر».

حين سمع الرجل القوي ذلك، أمسك بإحدى الفقمات التي اصطادها، وأعطاها للشيخ، وقال: «خذ هذه، إنها لك».

وهكذا صارا يتعاملان معاً منذ ذلك اليوم. عاد الشيخ وهو يجر وراءه فقمة، وهو الأمر الذي صار يقوم به غالباً بعد ذلك.

عندما عاد القويّ إلى منزله، قال لزوجته: «عندما أخرج غداً في قاربي، لن يكون ذلك لصيد الفقمة، فترقّبي عودتي عندما تغرب الشمس».

في اليوم التالي، خرج الرجل القوي في القارب، وعندما غابت الشمس، خرجت زوجته مراراً بانتظار عودته. وأثناء ذلك، لمحت زوجها عائداً، ومنذ تلك اللحظة لم تعد تشعر بالنعاس.

وكلّما اقترب الرجل القوي أكثر من الشاطئ، كان يجذف بقوة أكثر. حينئذ نزلت زوجته إلى الموضع الذي اقترب وصوله إليه، ثم استدارت فجلست وظهرها للبحر. حلّ الرجل فرو صيده[1] من حلقة قاربه، ومدّ يده وسحب ثعبان البحر، وضرب به ظهر زوجته التي شعرت ببرد شديد، وبحرقة قوية في جلدها. فوقفت وذهبت للمنزل. لكن زوجها لم يتلفظ معها بكلمة. ناما واستيقظا، وجاء الشيخ إليهما قائلاً: «عليك الآن أن تبحث عن جيفة طائر غاق[2]

(1) الأرجح إشارة إلى أسلوب الصيد باستعمال حيوانات أخرى (م).
(2) الغاق: طائر مائي ضخم نهم تحت منقاره جراب يضع فيه ما يصيده من الأسماك (م).

لم يبق منه سوى هيكله العظمي، لأن زوجتك حامل».

فانطلق الرجل القوي بلهفة بحثاً عن جيفة الغاق.

وذات يوم، جذف نحو الجنوب بقاربه، كعادته كل يوم، وبدأ البحث في جميع المنحدرات الصخرية التي تجثم فيها الطيور. وعندما وصل إلى أحدها، رأى ما تمنى رؤيته، جيفة غاق كبير وقد تحولت إلى هيكل عظمي. كانت في موقع من السهل اكتشافه، لكن من المستحيل الوصول إليه سواء من الأعلى أو الأسفل أو من الجوانب. لكنه ودّ أن يحاول. فوضع يده في شق صغير في الصخرة وحاول تسلقها بيديه العاريتين. وأخيرا حصل على الهيكل العظميّ، وعاود النزول إلى مركبه بالطريقة نفسها، وجذف نحو الشمال إلى منزله. وما إن وصل، حتى جاءه الشيخ وراح يرتجف من المفاجأة. ثم أخذ الهيكل، ووضعه بعيداً، ثم قال للقويّ: «عليك الآن البحث عن حجر ناعم، لم ير الشمس يوماً ويصلح ليكون مشكاة».

فبدأ الرجل القوي بالبحث عن ذلك الحجر.

وفي أثناء بحثه وصل إلى منحدر فيه موضع لا يمكن أن تبلغه الشمس، وهناك وجد الحجر المناسب، فأخذه إلى الشيخ الذي

وضعه جانباً أيضاً.

وبعد بضعة أيام، بدأت زوجة القوي تشعر بآلام الولادة[1]، فذهب الشيخ إليها مباشرة ومعه زوجته. وبعد فترة ولدت صبياً، فقال القوي للشيخ: «إنه بمثابة ولدك، فسمه باسم إنسان ميت[2]».

قال الشيخ: «فلنسمه تيمناً باسم إنسان مات من الجوع في الشمال في أميردلوك. وسيكون اسمه كوجافارسوك!».

وهكذا أطلق الشيخ على المولود هذا الاسم.

كبر كوجافارسوك، وعندما أصبح في سن مناسبة، قال القوي للشيخ: «اصنع له قارباً».

صنع العجوز قارباً، ثم أخذ الصبي إلى الماء لكي يجربه، من دون أن يدعه وحده. وعندما فعل ذلك قفزت فقمة صغيرة من الماء، وتبعتها أخريات. وهذا دليل على أنه سيكون رجلاً قوياً في المستقبل، زعيماً مثلاً. وعندما أخرجه الشيخ من الماء، عادت جميع الفقمات إلى مكانها.

---

(1) المخاض (م).

(2) وفقا للتقاليد، يعتقد أن صفات الشخص الميت تنتقل للمولود الجديد إذا أطلق اسم الميت عليه (المؤلف).

بدأ الشيخ بصنع أدوات الصيد، وعندما انتهى منها، ولم يعد هناك ما يمكن القيام به، وظن أن الصبي قد صار في عمر مناسب ليبدأ الخروج لصيد الفقمة، قال للرجل القوي: «جذف الآن معه، فقد حان موعد خروجه لصيد الفقمة».

ثم ركب الرجل القوي المركب مع ابنه وجذفا بعيداً، وحين وصلا إلى مكان تصعب فيه رؤية القاع، قال: «خذ رأس الحربون[1] مع خيطه وثبّته إلى القصبة».

استعدا للصيد وجذفا إلى نقطة أبعد، حتى وصلا إلى قطيع من الفقمات السود.

قال له الرجل القوي: «امض الآن نحوها مباشرة».

عندها جذف مباشرة نحوها ورفع حربونه ورماه، فأصاب هدفه. وهذا ما صار يفعله كل يوم بنجاح.

وحلّ زمن الجوع، وسمع الناس الذين يقضون فصل الشتاء في الجنوب بكوجافارسوك، الرجل القوي الذي لا يعاني الحاجة. وعندما سمعوا به، بدأوا بالتوافد لزيارة المكان الذي

(1) الحربون: رمح يستخدم لصيد الحيتان، ذات رؤوس حجرية أو عظمية، أما قصبة الرمح فكانت تصنع من الخشب أو من قرون الوعل. يصمم بحيث يربط رأسه إلى القصبة بحبل طويل، ثم ينفصل عن القصبة عندما يصيب الحربون إحدى الفقمات (م).

يعيش فيه. وبهذه الطريقة جاء رجل يدعى توغتو، وزوجته. وأثناء وجودهما هناك، وهما بالمناسبة ساحران عظيمان، بدأ الرجل وزوجته بالعراك، فهجرت الزوجة المنزل وذهبت للعيش وحيدة في الهضاب. ولم يعد بإمكان الرجل استعادة زوجته، لأن سحره لم يكن بقوة سحرها. وعندما غادر الآخرون الذين أتوا لزيارة المكان، كان مضطراً للبقاء هناك.

وذات يوم بينما كان خارجاً لاصطياد الفقمة في إكرسواك، رأى فقمة سوداء كبيرة خرجت من القاع وقد التقطت سمكة حمراء في فمها.

اتخذ الرجل طريقه عبر منحدرات المكان حيث غطست الفقمة، وفي أثناء وجوده في مركبه، التقط جميع أجنحة الطيور التي صادفها، وربط ريش الأجنحة بعضها ببعض.

ورغم أن توغتو كان رجلاً كبيراً، إلا أنه وجد صعوبة كبيرة في رفع تلك الحمولة على ظهره، وظن أن تلك الحمولة تناسب هذا العمق من الماء.

أخيراً تراكم الجليد، وعندئذ بدأ بتجهيز بعض الأدوات للخروج للصيد. استيقظ ذات صباح فمشى عبر الأرض.

وصل إلى بحيرة، ومشى عليها، ثم عاد ثانية إلى البر. وهكذا عاد إلى مكان الماء الذي سيصطاد فيه، ومشى على الجليد في الصباح الباكر. ثم حفر حفرة كبيرة في الجليد، وحالما ألقى صنارته، أشرقت الشمس. أشرقت بهدوء، وسارت عبر السماء، طوال الوقت الذي كان يلقي فيه صنارته. وعندما أصبحت الشمس في منتصف السماء، وصلت الصنارة إلى العمق. فشدّ الخيط قليلاً، وشعر بجذب في طرفه. فسحب الخيط، ووجد فرخ سمك. قتله، لكنه لم ينزل الخيط ثانية، فقد حلّ الليل. صنع ثقباً في الفك السفلي للسمكة، وربطها بالحبل ليتمكن من حملها. وعندما وضعها على رأسه، كانت طويلة جداً حتى ضرب ذيلها بكعب قدمه.

وهكذا عاد أدراجه إلى البرّ. وفي أثناء ذلك مر على البحيرة الكبيرة التي سار عليها صباحاً، لكنه ما إن وصل إلى منتصف الطريق، حتى بدأ الجليد يصدر صوتاً[1]، وعندما نظر حوله، بدا كأن صوت الجليد يتبعه من الخلف. أخذ بالركض، لكنه سقط مغمياً عليه، فبقي طويلاً على هذه الحال. وعندما استيقظ ثانية، وجد نفسه على الأرض. فكر قليلاً، ثم تذكر ما حصل: «أوه، لقد كنت أهرب».

(1) يتكسر تحت قدميه (م).

عندها وقف ناظراً حوله، لم يجد أي صدع في الجليد. لكنه شعر بنفسه وقد أصبح أكثر براعة في السحر من ذي قبل.

ابتعد أكثر، واختار طريقه عبر منحدر شديد، وعندما اتضحت الرؤية أمامه، لاحظ حيواناً ضخماً.

كان أحد تلك الوحوش التي رآها الإنسان في قديم الزمان، اكتسى جسده كلّه بجلد طائر[1]. وكان كبيراً جداً حتى لا تمكن ملاحظة أي رجفة حياة فيه. شعر بالخوف، واستدار عائداً، حتى لم تعد باستطاعته رؤيته ثانية. ثم ترك ذلك الطريق، وذهب إلى مكان آخر، لكنه وجد فيه وحشاً آخر له المظهر نفسه. فاستدار وسلك طريقاً يظن أن الوحش لن يجده فيه، لكنه تذكر حينها أنه بالسحر يمكنه اكتساب قوة الاختفاء، حتى في باطن الأرض، لو استطاع أخذ بعض جلد ذلك الوحش.

عندما وصلت أفكاره إلى هذا الحد، رمى بحمله[2] ومشى نحوه وأخذ بقتاله. ولم يمض وقت طويل حتى مزق ما يغطيه[3] إلى أجزاء، لم يكن اللحم الذي يكسوه أسمك من إبهام اليد. ثم ابتعد عنه، وحمل صيده ثانية على رأسه، وراح يتجول. وفي

(1) بالريش (م).
(2) ما كان قد اصطاده (م).
(3) الريش (م).

طريقه إلى المنزل، شعر بأنه أصبح ساحراً عظيماً، فرأى جميع الأبواب في تلك النواحي وقد باتت متقاربة من بعضها بعض.

وعندما عاد إلى المنزل، تسبّب[1] بسماع هذه الكلمات: «ادعوا الناس ليأتوا ويسمعوا».

فهرع كثير من الناس إلى المنزل. فبدأ باستحضار الأرواح. وفي أثناء ذلك رفع نفسه وانطلق بسرعة إلى حيث زوجته.

وعندما اقترب منها في تحليقه الروحي، أخذ يحوم حولها، وهي جالسة تحيك. نزل مباشرة عبر السطح، وعندما حاولت مراوغته، جاراها في الأمر، وتمكن من الإمساك بها على الأرض. بعد ذلك، وافقت بشدة على محاولاته أخذها معه، فاصطحبها إلى منزلها، واسترد زوجته ثانية، وعاش الزوجان معاً حتى شاخا.

وجاء شتاء نزل فيه الصقيع، وكان قاسياً إلى درجة أن تجمد البحر، وبقي جزء صغير منه فقط مفتوحاً، على امتداد الجليد. فأُجبر كوجافارسوك على حمل مركبه يومياً إلى المياه المفتوحة، لكنه كان يصطاد فقمتين كل يوم، كعادته.

(1) إيحاء بأنه جعل الناس يسمعون هذه الكلمات بطريقة سحرية (م).

بعدئذ، وكما يحدث في أوقات القحط، انتشر كثير من الناس فوق الجليد، قادمين من الجنوب، على أمل الحصول على بعض ما يصطاده كوجافارسوك. وذات مرة جاء شيخان من أقرباء أمه. وعندما قدما، قالت له أمه: «عليك بالعودة باكراً اليوم لأتمكن من الطبخ. صحيح أنه لدي بقايا طعام البارحة، ويمكنك تناوله إذا شئت، لكن عليّ طبخ طعام جديد اليوم».

ثم جلست أمامهما واقتطعت جزءاً من كِلية الفقمة السوداء مع شحمها من أجل مرق الشواء. بدأ أحد الشيخين الأكل بنهم، وهو يغمس اللحم في مرق الشواء. لكن الآخر سرعان ما توقف عن تناول الطعام.

وعندما عاد كوجافارسوك إلى المنزل، كعادته، وهو يحمل فقمتين، قال لأمه: «خذي الصدر واسلقيه بسرعة».

فهذا الجزء من الفقمة هو الأفضل. قامت الأم بسلق الصدر، فنضج بسرعة. وضعته بعدها في طبق وقدمته للشيخين.

قالت لهما «إليكما الطعام، تفضّلا».

وسرعان ما بدأ الآخر تناول الطعام، لكن الأول أمسك بقطعة من الكتف. وعندما رأى كوجافارسوك ذلك قال له: «عليك ألا تبدأ بالجزء الخطأ».

وعندما قال ذلك، كرر ثانية: «إذا أكلت من هذا الجانب، فسيتوقف صيدي للفقمات».

لكن الشيخ غضب بينه وبين نفسه.

في الصباح التالي، وهما يتجهزان للعودة مجدداً إلى الجنوب، أعطتهما والدة كوجافارسوك من اللحم قدر ما يستطيعان حمله. عادا إلى الجنوب، فوق الجليد، لكن عندما تقدما قليلاً، أُجبرا على التوقف، لأن حملهما كان ثقيلاً. وعندما استراحا قليلاً، تابعا مسيرهما. وعندما اقتربا من قريتهما، قال أحدهما للآخر: «ألم تنزعج مما حدث البارحة؟ لقد شعرت بالغضب كثيراً من كوجافارسوك. فعندما كنا هناك البارحة، قدما لنا فقط قطعة الكِلية عند وصولنا، وأنا لا أحب هذا الجزء من اللحم».

قال الآخر: «هم... أظنه كان لذيذاً. فمذاقه كان طريقاً تحت أسناني».

عند تلك الكلمات، بدأ الآخر بالحديث: «الآن بما أن غضبي قد استيقظ، فسأقوم بصنع توبيلاك ليهاجم كوجافارسوك الشقيّ».

لكن الآخر قال له: «ولماذا تفعل هذا؟ انظر إلى عطاياه الكثيرة التي اضطررنا لحملها فوق رؤوسنا».

لكن كلام رفيقه لم يغير من عزمه، ولم تثنه أي محاولة عن فعل ما يريد. فتوقّف الآخر أخيراً عن مخاطبته.

وكلّما اشتدّ البرد أكثر، كانت فتحة الجليد تصغر في المكان الذي اعتاد كوجافارسوك الذهاب إليه بمركبه. وذات يوم حينما ذهب كان هناك محلّ فقط لقاربه كي يدخل فيه. ولو ظهرت له فقمة الآن، فلن تعجز عن ضرب قاربه. جلس في المركب، وفيما كان يثبّت رأس حربونه، رأى فقمة سوداء تظهر تحته. لكنها اكتشفت أنها محشورة بين الجليد والقارب، فنزلت مجدداً من دون أن تصعد إلى السطح. وعندما اتخذ كوجافارسوك طريق عودته إلى منزله، كانت تلك هي المرة الأولى التي يعود فيها إلى منزله من دون أن ينال صيداً.

حينما عاد إلى منزله، اتخذ مجلسه وراء مصباح أمه، حيث جلس على الفراش، وترك قدميه متدليتين على الأرض. كان مضطرباً جداً حتى إنه عجز عن تناول الطعام. وفيما بعد في المساء، قال لأمه، خذي اللحم إلى توغتو وزوجته، واطلبي من أحدهما أن يزيل السحر عن الجليد.

خرجت أمه وقطعت لحم الفقمة السوداء من وسطها. ثم أخذت نصف اللحم ونصف الدهن إلى توغتو وزوجته. وصلت إلى المدخل، لكنه كان مغطى بالثلج، فبدا كأنه جُحر ثعلب. أنزلت في البداية ما كانت تحمله لتشق طريقها، وهكذا رأياها توغتو وزوجته، مع نصف لحم الفقمة السوداء ولحم دهنها المقطّع. وحينما دخلت قالت: «لديّ طلب عندكما، هل بإمكان أحدكما إزالة السحر عن الجليد؟».

لدى سماعه هذه الكلمات قال توغتو لزوجته: «لأن الوقت وقت جوع، لا نستطيع التخلي عن اللحم الموهوب لنا، فعليك أن تزيلي السحر عن الجليد».

وحينما شرعت بتنفيذ طلبه، قالت لوالدة كوجافارسوك: «اطلبي من الجميع أن يأتوا وينصتوا!».

ثم بـدأت دخول المساكن بلهفة لتخبر جميع من يمكنهم المجيء بأنه عليهم المجيء والإصغاء إلى السحر. وحينما جاءوا كلهم، أطفأت المصباح وبدأت تستدعي أرواحها المساعدة. ثم قالت فجأة: «ظهرت شعلتان في الغرب!».

ثم وقفت في الممر، وسمحت لهما بالاقتراب منها، وحينما اقتربا، كانا دباً وفظاً[1].

ضربها الدبّ ضربة رمتها تحت السرير، وعندما استعادت أنفاسها، خرجت من تحت السرير ووقفت في الممر، ثم استمر الأمر على هذا المنوال فترة طويلة. لكنها استعدت بعد ذلك للخروج، فقالت لمن ينصت: «لن يستطيع أحد طيلة هذه الليلة أن يتثاءب أو يطرف بعينه». ثم خرجت.

في اللحظة التي خرجت فيها، أخذها الدب بين أسنانه وقذف بها فوق الجليد. ولم تكد تسقط على الجليد حتى أنشب الفظّ أنيابه فيها وقذف بها فوق الجليد ثانية، لكن الدب ركض وراءها وظل يتابعها وهي تطير في الهواء. وفي كل مرة كانت تسقط على الجليد، كان الفظّ ينشب أنيابه فيها من جديد. ثم بدا أن الجزر البعيدة قد غارت فجأة إلى أسفل البحر، فأسرعت

(1) الفظ: حيوان ثديي بحري شبيه بالفقمة (م).

نحو الخارج. واستمرت في السير حتى ظهر البر واختفى أثرهما تقريباً، فتركها الدب والفظ. ومضت قدماً تجاه البر.

حينما رأت المنحدرات الصخرية أخيراً، بدت السحب فوق هذه المنحدرات بسبب الثلج الذي يكللها. وأخيراً هبت الريح، وبدأ الجليد يتكسر على الفور. دارت حول تلك المنحدرات من كل الجهات ولمحت كتلة جليدية تجمدت بسرعة. تركت نفسها تنجرف إليها. لم تكد تصل إلى الكتلة الجليدية حتى تفتّت الجليد كله، ولم يعد هناك طريق أمامها لتنقذ نفسها. سمعت في اللحظة نفسها أحداً قربها يقول: «دعيني آخذك في قاربي».

وحينما نظرت حولها رأت رجلاً في مركب صغير، قال من جديد: «تعالي آخذك معي في مركبي. إن لم تفعلي فلن تذوقي الأشياء الطيبة التي جلبها لك كوجوفارسوك».

ثم هاج البحر واستعدت للذهاب. وعندما رفعت المركب إحدى الموجات، قفزت إليه. لكن وهي تنزل فيه، كاد المركب أن ينقلب. حاولت أن تتحرك إلى الجانب الآخر منه، فاندفعت بعيداً، عندئذ قال الرجل: «اجلسي بشكل صحيح في وسط القارب».

حينما فعلت ذلك حاول أن يجذف، فقد كان غرضه أن يأخذها معه في مركبه، على الرغم من أن البحر كان هائجاً. جذف للخروج معها. وعندما ابتعد قليلاً، رأى البر، لكن حينما اقترب لم يعد هناك مكان على الإطلاق يمكن أن يصل منه إلى الشاطئ. وفي اللحظة التي جرفتهما فيها الموجة قال: «هيا لنحاول القفز إلى الشاطئ».

وعندما قال هذا قفزت إلى الشاطئ. وقفت على الأرض، استدارت فرأت المركب وقد اختفى عن الأنظار داخل موجة كبيرة[1]، ولم يظهر بعدها، فاستدارت وابتعدت. لكن بينما تسير شعرت بعطش رهيب. وصلت إلى مكان يتسرّب فيه الماء من بين الثلج. اتجهت إليه وعندما وصلت، وكانت على وشك أن تستلقي على الأرض لتشرب، فسمعت صوتاً قول فجأة: «إياك أن تشربي منه، وإلا فلن تذوقي الأشياء الطيبة التي جلبها لك كوجوفارسوك».

حينما سمعت هذا سارت قدماً. وأخيراً وصلت إلى منزل. على سطح المنزل أقعى كلب كبير، فأفزعها المنظر. وفيما مرت بالقرب منه، شعرت أنه سيعضها، لكنها مرت في النهاية.

---

(1) غرق (م).

في الطريق إلى المنزل كان هناك نهر كبير يتدفق، وكان المكان الوحيد الذي تستطيع السير فيه ضيقاً كحدّ سكين. لكن الطريق نفسه كان واسعاً جداً حتى إنها عجزت عن الاستناد إلى الجدران[1].

سارت إلى الأمام وهي تحاول التوازن بحرص، مستخدمة أصابعها الصغيرة كأجنحة. لكن عندما وصلت إلى الباب الداخلي كان الدرج عالياً فلم تتمكن من صعوده بسرعة. رأت داخل المنزل عجوزاً راقدة ووجهها لأسفل على الفراش. بمجرد دخولها، بدأت العجوز بشتمها. وكانت على وشك أن ترد على هذه الشتائم، لكن العجوز نهضت للعراك معها. تعاركت الاثنتان بشراسة. تعاركتا طويلاً، ثم بدأت العجوز تتعب رويداً. حينما تعبت إلى درجة عجزت معها عن النهوض، رأت الأخرى أن شعرها سائب ومليء بالوسخ. فبدأت زوجة توغتو تنظفها قدر ما تستطيع. بعد ما فعلت هذا لمّت شعرها في ربطة. ظلت العجوز صامتة، ثم قالت: «يا ابنتي العزيزة الصغيرة، يا من أتيت من أجلي. مرّ زمان طويل لم يعتن أحد بشعري. لم يفعل معي أحد هذا بعد أتكانا الصغير من ساردلوك. ولا شيء لدي أعطيه لك في المقابل. أبعدي مصباحي».

---

(1) أي أنها مشت في ممر ضيق وقد انشق الجليد حولها واسعاً تجري فيه المياه، وبالتالي كانت مهددة بالوقوع غير قادرة على الاستناد إلى شيء (م).

حينما فعلت ذلك، تعالى ضجيج كخفق الأجنحة. استدارت لتنظر فرأت سرب طيور تحلق فوق الممر. استمرت الطيور تطير فترة طويلة بلا توقف. ثم قالت العجوز: «يكفي هذا».

ووضعت أمامها مباشرة المصباح. حين فعلت هذا، قالت الأخرى من جديد: «لِمَ لا تحركيه قليلاً إلى الجانب الآخر؟».

فعلت هذا ثم رأت بضعة رجال بشعور طويلة يطيرون فوق الممر. اقتربت فرأت أنهم حشد فقمات سوداء. حينما اقترب معظمهم على هذا المنوال، قالت: «يكفي هذا».

ووضعت المصباح في مكانه. ثم نظرت العجوز إليها وقالت: «عند عودتك إلى موطنك أخبريهم ألا يولوا وجوههم شطر البحر أثناء تفريغهم أوانيهم المتسخة، لأنهم إذا قاموا بذلك فسينصب كله عليّ».

خرجت المرأة أخيراً، حرك الكلب الكبير ذيله في إشارة ودّية لها.

كانت الدنيا لا تزال غارقة في الظلام عندما عادت زوجة توغتو إلى المنزل. وحين دخلت لم يكن قد تثاءب أحد أو يطرف بعينه بعد. رفعت المصباح إلى وجهها فبان مخدوشاً بدرجة مخيفة، وقالت لهم: «لا تظنوا أن الجليد سيتكسر فوراً، لن يتكسر حتى تُشفى هذه الخدوش».

بدأت بعد فترة طويلة تشفى ببطء، وحدث أحياناً أن أحداً أو آخر صاح مستهزئاً[1] من النافذة: «لقد حان الوقت كي يتكسر الجليد ونخرج إلى البحر، علينا أن نفعل ما نفعله».

وأخيرا شُفيت جروحها. وذات يوم ظهرت سحابة سوداء جنوباً. في آخر المساء تصاعدت جلبة الرياح، ولم تخمد العاصفة حتى الصباح. وحين ظهر النور الواضح وخرج الناس، كان البحر منفتحاً[2] أزرق اللون. وحلقت أعداد كبيرة من الطيور فوق الماء، وظهرت حشود من الفقمات السوداء في كل مكان. جهزوا المراكب على الفور وبدأوا يستعدون، فقالت زوجة توغتو: «ليس لأحدكم أن يصيدها إلا بعد مضي خمسة أيام، ليس لأحدكم أن يصيدها».

لكن قبل انقضاء هذه المدة خرج أحد الرجال للصيد غير مبال بتحذيراتها. حاول بجهد جهيد، لكنه لم يستطع أن يصيد أياً منها. بعد انقضاء هذه الأيام قالت زوجة الساحر: «يمكنكم الآن أن تخرجوا لصيدها».

فخرج الرجال إلى البحر لصيد الطيور. وعندما لم يعد بإمكانهم حمل المزيد في مراكبهم، جذفوا عائدين. وكان عليهم

(1) غير مصدّق أن السحر الذي قامت به الزوجة أتى بنتيجة (م).
(٢) فقد زال الجليد (م).

جميعاً أن يسلموا صيدهم الكبير إلى منزل توغتو. أما صيدهم الثاني فهو المسموح لهم الاحتفاظ به لأنفسهم.

في اليوم التالي خرجوا لصيد الفقمة. حصدوا الكثير منها بحرابهم، لكنهم سلّموها أيضاً إلى توغتو وزوجته، أما الصيد الثاني فهو المسموح لهم الاحتفاظ به.

الآن وقد ذاب الجليد، أعاد الشيخ الذي أتينا سابقاً على ذكره، الحياة إلى التوبيلاك، وقال عندئذ: «اخرج الآن والتهم كوجوفارسوك».

جذف التوبيلاك وراءه، لكن كوجافارسوك كان قد وصل إلى الشاطئ فعلاً، وعلى وشك أن يجرّ قاربه إلى البر، ومعه رصيده من صيد ذلك اليوم: فقمتان. لم يعد توبيلاك يخشى شيئاً، لكن في اليوم التالي، حين خرج، كان يبدو من السهل أن يصطاده ويأكله، فراح ينتظره عند الفجر قرب منزله. حين استيقظ كوجوفارسوك نهض ذاهباً إلى قاربه وبدأ يستعد للصيد. لبس معطفه الفرو الطويل وأنزل قاربه إلى الماء. رفع ساقه ونزل في القارب، وكان هذا ما رآه توبيلاك، وحين رفع الساق الأخرى ليخطو في المركب، اختفى تماماً عن النظر، وظل توبيلاك طيلة النهار يبحث عنه من دون جدوى. ثم سبح أخيراً نحو البر، وفي

ذلك الوقت كان قد وصل فعلاً إلى منزله، ساحباً المركب إلى الشاطئ. كان قد اصطاد فقمتين، في حين كان التوبيلاك راقداً يحدق فيه[1]. وحين حل المساء راح كوجافارسوك ليرتاح ونام، وعندما استيقظ نهض وجهز أشياءه للخروج. وفي الأثناء، كان التوبيلاك ينتظر بلهفة كبيرة تلك اللحظة التي سيبحر فيها بعيداً عن البر. وعندما ارتدى معطف صيده مستعداً للإبحار، فكر توبيلاك: «سنرى الآن إن كان سيختفي من جديد».

وبينما يدخل في مركبه، اختفى عن النظر. وفي نهاية ذلك اليوم أيضاً، عاد كوجافارسوك إلى منزله من جديد، كعادته، وقد صاد فقمتين.

في هذا الوقت كان توبيلاك قد بدأ يتضوّر جوعاً. لكن التوبيلاك لا يأكل غير الإنسان، ولهذا فكر: «في المرة القادمة سأمضي إلى البر وآكله هناك».

ثم سبح باتجاه البر، وحين وصل إلى مستوى الشاطئ تحرك بسرعة، ليظهر فجأة. لكنه ارتطم بالأرض ونفذ الألم إلى عاموده الفقري، وفي أثناء محاولته رؤية ما يدور حوله، كان الشاطئ قد تغير إلى منحدر حاد، وعلى رأس المنحدر كان كوجافارسوك

(1) يكمن له (م).

واقفاً حتى تمكن رؤيته بسهولة. فحاول من جديد السباحة إلى البر، لكنه ألحق الأذى بنفسه أكثر. كان الأمر مدهشاً أن يظل يبحث من دون جدوى عن منزل كوجافارسوك لأنه لم يعد يرى منزله على الإطلاق. كان لا يزال راقداً هناك يمعن النظر، حين رأى حجراً كبيراً على وشك أن يسقط فوقه، ولم يكد يغطس تحت الماء، حتى ارتطم به الحجر، فكسر اثنين من أضلاعه. سبح مبتعداً وهو ينظر من جديد نحو البر، فرأى كوجافارسوك بجلاء تام، وكذلك منزله.

فكر توبيلاك الآن: «عليّ أن أجرب طريقة أخرى. ربما من الأفضل أن أتجول على البر».

حينما حاول التجول في البر وجد الأمر سهلاً، وظهر على أرض المنزل. لكن أرضية المنزل كانت صلبة وليس من السهل المشي عليها. فحاول وراء المنزل وكان هذا سهلاً. ظهر هناك وذهب إلى الممر، فكان طائر أسود كبير قابعاً هناك يأكل شيئاً. فكر التوبيلاك: «هذا كائن محظوظ يستطيع أن يجلس ويأكل».

ثم جرب أن يتسلق الجدران من وراء المنزل بالتعلق في الأعشاب النابتة بين كتل الحجارة. عندما وصل هناك كان طعام الطائر هو الشيء الوحيد الذي رآه. جرب من جديد أن يصعد

إلى أعلى فرأى أنه لم يعد يلمح شيئاً قطّ، لكن الطائر استدار فجأة وقضم جزءاً من زعنفته، فكان هذا مؤلماً جداً حتى أن التوبيلاك تخبط من الألم وظل يتخبط حتى وصل إلى الماء.

وبعد حدوث هذا كله، تلهف التوبيلاك للسباحة والعودة فوراً إلى الرجل الذي تسبب له بهذا، لكي يلتهمه. وحينما وصل وجد الرجل جالساً في قاربه يولي وجهه نحو الشمس ولا يحكي إلا عن التوبيلاك الذي صنعه. ثم رقد التوبيلاك فترة طويلة خلفه، يتطلع إليه، فخطرت له فكرة: «لماذا قام بصنعي على شكل توبيلاك، ما دامت ستواجهني كل هذه المتاعب؟».

عندئذ سبح وهاجم المركب واصطبغت الماء بلون الدم، إذ إنه أكله. وهكذا وجد طعاماً، فأحس التوبيلاك أنه بخير وقوي وسعيد حتى بدأ يفكر أخيراً: «سيرى التوبيلاك الآخرون أن ما فعلته كان شيئاً معيباً، فقد قتلت من صنعني».

واضطرب كثيراً من العار والخزي، فسبح بعيداً في البحر المفتوح ولم يره أحد بعدها. فقال الناس إن هذا بسبب ما فعله من خزي.

قال الشيخ ذات يوم مخاطباً كوجافارسوك: «لقد أطلقنا

اسمك تيمناً برجل مات من الجوع في أميردلوغ».

ويحكى عن أهل أميردلوغ أنهم لم يصطادوا شيئاً غير سمكة الترسة[1].

وذهب كوجافارسوك إلى أميردلوغ، حيث عاش مع شيخ، وبينما يعيش هناك، ظلّ يصطاد كعادته، فبدأ أهل أميردلوغ يقول أحدهم للآخر: «هذه أول مرة تتوافر لنا كلّ هذه الفقمات السوداء، فكل مرة يذهب فيها للصيد يرجع بفقمتين».

خرج أحد كبار الصيادين معه أخيراً. ثبتا رأسي حربتيهما، وبعد أن ابتعدا قليلاً عن البر، توقف كوجافارسوك. حين ابتعد الآخر عنه مسافة صغيرة، استدار فرأى كوجافارسوك قد غرز حربته برأس فقمة، ثم جذف ناحية الرجل الآخر، وعندما ظهر كان قد قتلها. فتركه من جديد فترة قصيرة، وحينما عاد كان كوجافارسوك قد صاد من جديد، ثم جذف عائداً إلى منزله، وظل الآخر هناك اليوم بأكمله من دون أن يرى فقمة واحدة.

وهكذا بقي كوجافارسوك صياداً عظيماً، فقالت له أمه أخيراً إن عليه أن يتزوج. لم يرد عليها، فبدأت تبحث حولها عن

(1) الترسة: نوع من أسماك موسى (م)

فتاة تُزوجها له، لكنها تمنت أن تكون امرأته شديدة النهم، حتى لا يخسر كل ما يصطاده من لحم. فبدأت تسأل عن العزباوات، وتذهب لرؤيتهن. ثم ظهرت ذات يوم شابة لم تكن ذات حظ من الجمال. لكنها أحبتها كثيرا لشراهتها في الطعام. فاختارتها لهذا السبب عروساً لابنها. قالت لابنها ذات يوم: «عليك أن تتزوج هذه المرأة».

فأطاعها ابنها كعادته دائماً. وبعد زواجهما ناداه أقوى رجل في أميردلوغ من النافذة: «يا كوجافارسوك، فلنرَ من منا يصمد أكثر في البحر لاصطياد الحوت».

لم يرد كوجافارسوك كعادته، لكن الشيخ قال له: «إننا نرتدي فقط الجلد المنقّط لصيد الحيتان. وهي الآن موجودة بمصب النهر». وذهبا بعدها ليرتاحا.

نام كوجافارسوك ثم استيقظ. نهض وخرج إلى الشمال. بعد أن ذهب قليلاً إلى الشمال، وصل إلى مضيق بحري. نظر حوله فرأى فقمة منقطة تبرز لتتنفس. وحين نزلت من جديد جذف نحوها، وثبت الرأس والخيط على حربته. وحين ظهرت من جديد لتتنفس جذف إلى حيث كانت، وأطلق حربته عليها فأصابها، ثم عاد بها تواً وهو يجذف. سلخ الشيخ الجلد وعلقه

وراء المنزل. لكن بينما كان معلقاً تعالت منه ضجة، مع أنه لا يوجد أحد هناك. الأمر الذي لم يعجب الشيخ.

حين اقترب الشتاء، قال الشيخ يوماً لكوجافارسوك: «حان وقت ظهور الحيتان على الساحل».

خرج كوجافارسوك ذات ليلة من المنزل، حين سمع صوت تنفس عميق من جهة الغرب، ثم اقترب الصوت أكثر. إلا أنها كانت المرة الأولى التي يسمع فيها هذا التنفس العميق، فدخل إلى امرأته وبلّغها هذه الحكاية بصوت خفيض. ولم يكد يُبلغها هذا، حتى قال الشيخ الذي كان يظنه نائماً: «ماذا تقول؟» .

قال كوجافارسوك: «سمعت صوت تنفس عميق، ولم أعرف ما هو، كما أنه لا يأتي من جهة الشرق».

ارتدى العجوز الدثار وخرج، ثم دخل ثانية وقال: «إنه صوت أنفاس الحوت».

في الصباح، قبل أن ينبلج النور، تعالت أصوات ركض، ثم ظهر أحدهم ونادى من النافذة: «يا كوجافارسوك، أنا أول من سمع تنفس الحيتان».

كان الرجل القوي الذي تمنّى أن يبزه في هذا.

لم يرد كوجافارسوك، كعادته، لكن الشيخ قال: «لقد سمع كوجافارسوك ذلك، والوقت لا يزال ليلاً». فسمعاه يضحك وهو يبتعد.

كان الرجل القوي قد خرج فعلاً إلى الماء في اليومياك[1] ليجذف باتجاه الحوت. عندئذ خرج كوجافارسوك وجذفاً بعيداً بعد أن وصل قاربه إلى الماء أيضاً. ملأه بالماء ثم سحبه من جديد إلى الشاطئ، ثم أدار دفة المركب ناحية البر وصب الماء هناك. ومرة ثانية قاد مركبه إلى الماء. وحتى تلك اللحظة لم يكن قد بحث عن مجذفين[2]. لقد خرجوا عندما رأوه، وكان الرجل القوي من أميردلوغ قد ابتعد فعلاً. وقبل أن يصل إلى حيث كان، أخبر كوجافارسوك المجذفين معه أن يتوقفوا في سكون تام. لكنهم تمنوا الذهاب أبعد معتقدين أن الحوت لم يظهر للتنفس في ذلك المكان. فقال لهم: «سترونه حين يظهر».

لم يكد المركب الكبير يتوقف بسكون، حتى بدأ كوجافارسوك يرتجف، وحين استدار وجد حوتاً يقترب فعلاً

---

(1) اليومياك: قارب كبير يتميز عن الكاياك الصغير (م).
(2) صيادون ينضمون إليه (م).

منه، فرجاه المجذفون متلهفين أن يدير المركب باتجاه الحوت. لكن كوجافارسوك لم يكن قد رأى مثل هذا الحيوان من قبل في حياته. فقال: «دعونا ننظر إليه».

وطلب من المجذفين أن يبقوا ساكنين. وحين سمع الرجل القوي من أميردلوغ تنفس الحوت، نظر حوله فوجد الحيوان يرقد مثل صخرة كبيرة قريباً من كوجافارسوك. فنادى عليه من المكان الذي كان فيه: «أطلق عليه رمحك».

لم يرد كوجافارسوك، لكن صار الصيادون أكثر لهفة من ذي قبل. حينما تنفس الحوت طويلاً، غاص في الماء. تمنى الصيادون أن يوغلوا في البحر أكثر، فمن غير المحتمل أن يظهر الحوت هنا مرة أخرى. لكن كوجافارسوك رفض التحرك على الإطلاق.

ظل الحوت طويلاً تحت الماء، وحين ظهر من جديد بات أقرب. نظر كوجافارسوك إليه مطولاً، مما أثار غضب الصيادين. وقبل أن يغوص الحوت ثانية، قال كوجافارسوك: «انطلقوا الآن نحوه».

جذفوا نحوه فأطلق رمحه عليه وأصابه. كان الحوت يتلوّى من الألم وهو ينزف، فرمى كوجافارسوك صنارته وسرعان ما

غطس الحوت في الماء.

ونادى عليه الآخرون: «حين يصاب الحوت، يسبح دائماً خارج البحر. فدعنا نجذف إلى المكان الذي سيظهر فيه».

لكن كوجافارسوك لم يرد، ولم يتحرك من المكان الذي كان فيه، حتى نادى عليه في المرة الثالثة، فرد: «الحيوانات التي أصيبها، تتحرك دائما نحو منزلي».

راح الآخرون يضحكون عليه، حتى سمعوا شلالاً من الماء يقترب ناحية الشاطئ. ثم همد كسمكة صغيرة، وهو يعاني من سكرات الموت.

اقتربوا منه فوراً وقطروه بحبل. جذف الرجل القوي تجاههم، وحينما وصل إليهم لم يكن أحد منهم يتناول الطعام. فقال: «ألا يأكل أحد منكم، وأمامكم حوت اصطدتموه للتو؟».

فرد كوجافارسوك: «لن يأكل أحد منه حتى تأكل أمي أولاً».

لكن الرجل القوي حاول أن يأخذ قضمة منه. وحينما فعل خرج من فمه فوراً زبَد يُرغي. فبصق القضمة قبل أن تؤذي فمه.

جلبوا ذلك الصيد للمنزل وأكلت منه أم كوجافارسوك، ثم أكلوا جميعاً في النهاية بالتساوي ولم يصب أي منهم بأذى في فمه. لكن جلس الرجل القوي طويلاً وكان الوحيد من بينهم الذي لم يأكل، فهو لن ينتظر حتى يتورم فمه ثانية.

ولم يصطد الرجل القوي من أميردلوغ على الإطلاق، حتى اصطاد كوجافارسوك واحداً آخر.

ولمدة عام كامل ظل كوجافارسوك في أميردلوغ، وحين حل الربيع، عاد أدراجه جنوباً إلى منزله. وصل إلى بلاده، وبعد زمان طويل مات.

وكان هذا كل شيء.

كونيغسك

كان هناك ساحر اسمه كونيغسك. ذات يوم، حين كان على وشك أن يستدعي أرواحه المساعدة ويطير نازلاً إلى العالم السفلي، أعطى أوامره بأن تُغسل الأرض بالماء المالح، لإزالة الرائحة المنتنة التي قد تنفّر أرواحه المساعدة.

ثم بدأ يستدعي أرواحه المساعدة، ومن دون أن يحرك جسمه، بدأ يغوص في الأرض متجهاً إلى القاع. مر في طريقه بصخور بحرية مغطاة بالطحالب التي تجعل المشي عليها صعباً. ولأنه لم يستطع أن يمر فقد رقدت أرواحه المساعدة بجانبه، فداس على إحداها وعبر.

ظل ينزل فوصل إلى منحدر مغطى بنبات الخلنج[1]. يقول الناس إن الأرض في قاع العالم السفلي مستوية والتلال صغيرة وأن ثمة شمساً هناك وسماء أيضاً، مثل اللذين نراهما على الأرض.

(1) نبات الخلنج: نبات ينمو في الأراضي البور والسبخات (م)

فجأة سمع أحداً يصرخ: «ها قد جاء كونيغسك».

رأى على ضفة نهر صغير بضعة أطفال يبحثون عن الغراي فيش[1].

وقبل أن يصل إلى منازل البشر، قابل أمه، وقد خرجت لجمع التوت. حين وصل إليها جربت مرة بعد أخرى أن تقبله، لكن روحه المساعدة نحّتها بعيداً قائلة: «ابتعدي عنه إنه يزورنا فحسب».

ثم عرضت عليه بعض التوت وكان على وشك أن يضعه في فمه، فقالت الروح: «لو أكلت منها فلن تعود».

بعد قليل لمح أخاه الميت، ثم قالت أمه: «لماذا تريد العودة إلى الأرض ثانية؟ إن عشيرتك هنا، انظر إلى شاطئ البحر وسترى خزائن ضخمة من اللحم المجفف. لقد اصطادوا عدداً كبيراً من الفقمات هنا، وهو مكان جيد، حيث لا يوجد ثلج، والبحر هنا بديع ومفتوح».

كان البحر ينثال ناعماً دونما أي رياح. وكانت المراكب تجذف ناحية الأرض. وبين الحين والآخر يقذفون رماحهم وتُسمع ضحكاتهم.

---

(1) نوع من سمك القرش (م)

قال كونيغسك: «سآتي ثانية بعد موتي».

هناك بعض المراكب اصطفت جافة على جزيرة صغيرة، أصحابها فقدوا حياتهم حين خرجوا على ظهر تلك المراكب.

وقيل إن أهل العالم السفلي أبلغوا كونيغسك: «حين تعود إلى الأرض، أرسل لنا بعض الثلج لأننا نصبو للماء المثلج هنا».

ثم عاد كونيغسك إلى الأرض، لكن قيل إن ابنه سقط مريضاً ثم مات. ولم يعد يهم كونيغسك أن يعيش طويلاً، فقد رأى ما يدور في العالم السفلي. فجذف مبتعداً بقاربه واصطاد طائر الغلموت[1]، وبعد قليل اصطاد غراباً أسود، ثم تناولهما واحداً بعد الآخر، فمات. وعندئذ ألقوه في عرض البحر.

(1) طائر الغلموت: من طيور البحار الشمالية (م)

المرأة التي اتخذت الدب ربيباً

كانت هناك عجوز تعيش في قرية يعيش فيها آخرون. كان بيتها قرب الشاطئ وكان من يعيش في المنازل التي تتلوها يخرجون للصيد ويعطونها اللحم والدهن.

وكلما خرجوا للصيد يصطادون دباً، لأنهم غالباً ما يتناولون لحم الدب. وذات مرة عادوا بدب كامل. فأخذت العجوز حصتها منه قطعةً من الضلوع، وعادت بها لمنزلها. لكن حالما وصلت، سمعت صوت زوجة من قتل الدب آتياً من النافذة: «أيتها العجوز الغالية، أتحبين أن تربّي ديسماً؟»[1]

فخرجت العجوز وأحضرته إلى منزلها، وزادت من وهج المصباح، ثم وضعت الديسم الذي كان متجلداً، على لوح التجفيف، فلاحظت أنه بدأ يتحرك قليلاً فحملته لكي تدفئه. ثم قامت بقلي بعض الدهن لأنها سمعت أن الدببة تعيش على دهن الحوت. وهكذا أخذت تطعمه منذ اللحظة، فكانت تعطيه بقايا الشحم ليأكل وتذيب الدهن ليشربه، ثم يضطجع قربها في الليل.

---

(1) الديسم: ابن الدب (م)

وبعد أن صار يضطجع قربها ليلاً، بدأ يكبر بصورة أسرع، وراحت تكلمه بلسان البشر، فاكتسب عقل الإنسان، وعندما يريد أن يطلب الطعام[1] من أمه بالتبني كان يصدر صوتاً أشبه بصوت الشخير.

لم تعد العجوز تجد صعوبة في فهم ما يريد قوله، واعتاد الذين يعيشون قربها على إحضار الطعام للديسم. وكان الأطفال يأتون أحياناً للعب معه، لكن العجوز كانت تقول: «تذكر أيها الدب الصغير أن تغمد مخالبك وأنت تلعب معهم».

وفي الصباح يأتي الأطفال إلى النافذة وينادون: «اخرج أيها الدب الصغير والعب معنا».

وحين كانوا يخرجون للعب معاً، كان يكسر رماح الأطفال التي على شكل لعبة، لكن عندما يريد دفع أي طفل كان يغمد مخالبه. ثم كبر أخيراً وصار قوياً، حتى إنه كان يجعل الأطفال دائماً يبكون بسببه. وعندما أصبح قوياً، بدأ كبار الناس يلعبون معه، كانت تلك طريقتهم في مساعدة العجوز لجعل الدب أقوى. وبعد مدة لم يعد حتى الكبار يجرؤون على اللعب معه، فقد بدت قوته هائلة، وقال

(1) عندما يجوع (م).

أحدهم للآخر: «دعونا نأخذه معنا حين نذهب للصيد، فقد يساعدنا في العثور على الفقمة».

جاءوا إلى نافذة العجوز ذات يوم عند الفجر وصاحوا: «أيها الدب الصغير تعال لتنال نصيباً من صيدنا، اخرج لتصطاد معنا يا دبنا».

لكن قبل أن يخرج الدب، شمشم المرأة العجوز. ثم خرج مع الرجال.

وفي الطريق قال أحد الرجال: «أيها الدب الصغير عليك أن تكبت إطلاق الريح، وإلا ستشم الطريدة رائحتك وتهرب».

وبعد عودتهم من الصيد ذات يوم، نادوا على العجوز قائلين: «كاد صيادو الشمال أن يقتلوه وبالكاد تمكنا من حمايته، فعليك أن تمنحيه علامة تميزه، ضعي حول رقبته طوقاً عريضاً من الحبال المجدولة».

وهكذا صنعت العجوز علامة للدب يلبسها، جلية مثل حد الحربة. لم يفشل الدب قطّ في صيد الفقمة، وكان أقوى من أقوى الصيادين، ولم يمكث في المنزل حتى في أسوأ الظروف. لكنه لم يكن أكبر من الدب العادي. صار يعرفه جميع أهل القرى،

ويحاولون صيده أحياناً، إلا أنهم كانوا يفلتونه بمجرد أن يروا الطوق الذي يلف رقبته.

سمع بعض سكان قرية أنغماغساليك بأن هناك دباً لا يُصاب، فقال أحدهم: «لو تصادف ورأيته فسأقتله».

لكن الآخرين قالوا: «لا يجب أن تفعل ذلك، فالدب له أم ربيبة سوف تمرض من دون مساعدته. فلو رأيته لا تؤذه ودعه في حاله، بمجرد رؤيتك علامته».

ذات يوم وفي أثناء عودة الدب كالمعتاد من الصيد، قالت أمه بالتبنّي: «حين تقابل الرجال تعامل معهم كأنك واحد منهم، لا تحاول أن تؤذي أياً منهم ما لم يهاجمك أولاً».

سمع الدب كلمات أمه بالتبني وكان ينفذ ما تقول.

وظلت الأم بالتبني تحتفظ بالدب معها. في الصيف يخرج للصيد في البحر، وفي الشتاء على الجليد، وتعلم الصيادون الآخرون طرقه في الصيد، وكانوا يحصلون على نصيبهم من صيده.

ومرة ابتعد الدب للصيد وسط عاصفة كالمعتاد، ولم يعد للبيت

حتى حلول المساء. ولدى وصوله شمشم أمه بالتبني ثم وثب على المقعد بمكانه في الركن الجنوبي. خرجت العجوز بالتبني من المنزل فوجدت في الخارج جثة رجل ميت كان الدب قد جرّه إلى البيت. ومن دون أن تدخل ثانية مضت العجوز مسرعة إلى أقرب منزل وصاحت من النافذة: «هل من أحد في البيت؟».

فجاءها الرد: «لماذا؟».

قالت العجوز: «لقد عاد الدب الصغير إلى المنزل مع رجل ميت، لا أعرفه».

حين طلع النور، خرجوا فرأوا أنه رجل من الشمال، بدا كأنه كان يجري مسرعاً لأنه كان بلا فراء، وكان في لباسه الداخلي فقط. سمعوا فيما بعد أن رفاق الدب شجعوه على المقاومة لأن الرجل لم يتركه في حاله.

بعد وقت طويل، قالت الأم للدب: «من الأفضل لك ألا تبقى معي هنا دائماً، وإلا قُتلت، مما سيجلب الحزن عليّ. فمن الأفضل أن ترحل عني».

بكت وهي تقول هذا. فوضع الدب خطمه في الأرض وبكى، فقد كان شديد الحزن لرحيله عنها.

بعد ذلك اعتادت الأم الخروج بمجرد انبلاج الفجر، لتنظر في حال الجو، وحين ترى سحابة بحجم كف اليد في السماء، لا تقول شيئاً.

ذات صباح خرجت ولم تكن هناك سحابة كبيرة بحجم الكف، فدخلت وهي تقول: «أيها الدب الصغير عليك الرحيل الآن، لديك عشيرتك وهم بعيدون عن هنا».

لكن حين استعد الدب للرحيل، انخرطت الأم في البكاء وغمست يديها بالزيت ولطختها بالسخام، ثم دهنت بها ظهر الدب وهو يغادرها[1]، ولم ير ما كانت تفعل. شمشم الدب أمه بالتبني ثم غادر. لكنها انخرطت في البكاء طيلة ذلك اليوم، كما حزن جيرانها على فقدان دبهم.

لكن قال الرجال إنهم حين يتجهون إلى الشمال، يشاهدون بعض الدببة ومن بينهم واحد ضخم مثل كتلة جليد، وله بقعة سوداء على ظهره. وهكذا تنتهي الحكاية.

(1) كعلامة تتركها عليه (م).

إيماراسوغسياك الذي أكل زوجاته

قيل إن إيماراسوغسياك العظيم كان ميالاً لأكل زوجاته. كان يسمنهن، ولا يطعمهن غير سمك السلمون، ولا يمنحهن شراباً على الإطلاق. مرة أكل زوجته، كالمعتاد، واتخذ بعدها زوجة كانت أختا لعدة إخوة، اسمها ميسانا، ثم بدأ يسمّنها كالمعتاد.

مرة كان زوجها خارجاً في مركبه. فبدأت تسمن حتى باتت عاجزة عن الحركة، لكنها تمكنت بصعوبة من الانقلاب عن المقعد إلى الأرض وزحفت إلى المدخل حيث ارتمت في الممر ثم بدأت تلحس الثلج المتراكم هناك. استمرت في لحسه فبدأت تشعر بنفسها أخف وأكثر قدرة على الحركة. وبهذه الطريقة اعتادت لحس الثلج أثناء وجود زوجها في مركبه، حتى تمكنت من الحركة في المنزل.

وذات يوم عندما كان زوجها خارجاً بمركبه كالمعتاد، أخذت سروالها وسترتها وحشتهما حتى بدوا كامرأة حقيقية، ثم قالت لها: «حين يعود زوجي ويطلب منك أن تخرجي، ردي عليه بهذه الكلمات: «لا أستطيع الحركة، فقد أصبحت بالغة السمنة.

وحين يدخل ويرميك بحربته، تذكري عندئذ أن ترتجفي من الألم».

وبعد أن قالت هذه الكلمات، بدأت تحفر حفرة خلف المنزل، وحينما صارت كبيرة كفاية، اختبأت فيها.

قال الزوج: «أحضري الطيور التي اصطدتها».

لكن الدمية ردت: «لا أستطيع الحركة، فقد صرت بالغة السمنة».

كانت الدمية تجلس خلف المصباح. فدخل الزوج وأطلق رمحه المسنون على الزوجة الدمية. فارتجفت الدمية كأنها تتألم ثم سقطت أرضاً. لكن اقترب منها لم ير أي دماء، ولم يجد أمامه سوى كومة ملابس. إذن أين زوجته؟

بدأ يفتش عنها، وبمجرد خروجه، زحفت الزوجة من مكان اختبائها وفرت. وبينما هي تهرب ركض زوجها وراءها حتى اقترب أكثر فأكثر، عندئذٍ قالت لنفسها: «تذكرت الآن أن تميمتي قطعة من الخشب».

ولم تكد تنطق هذه الكلمات حتى تحولت إلى قطعة من الخشب، ولم يستطع زوجها العثور عليها. بحث طويلاً، لكنه لم ير غير قطعة من الخشب. طعنها مرة أو مرتين بسكينه، لكنها

لم تحس بغير وخز صغير من الألم، ثم عاد إلى بيته ليجلب فأسه، وبمجرد أن ابتعد عن النظر تحولت من جديد إلى امرأة وفرّت بعيداً إلى إخوتها.

وصلت إلى منزلهم، واختبأت وراء الجلود المعلقة، ثم سمعت زوجها يقترب وهو يبكي فقده لزوجته. ظل معهم هناك، وعندما حلّ المساء بدأ الإخوة يغنون ساخرين منه وهم يلتفتون إليه قائلين: «يقول الناس إن إيماراسوغسياك يأكل زوجاته».

رد الزوج: «من قال ذلك؟».

قالوا: «ميسانا».

نادت من وراء الجلود المعلقة: «قلت هذا وهربت لأنك حاولت قتلي».

عندئذ اندفع الإخوة الكثيرون إلى إيماراسوغسياك وأمسكوه بسرعة لكي تقتله زوجته، التي جاءت شاهرة سكينها، لكن كلّما حاولت ضربه، كانت السكين تمس جلده مساً، فقد فقدت أصابعها قوتها.

لاحظ الإخوة، في حين كانت تحاول جاهدة طعنه بالسكين، أنه قد مات بالفعل.

وهكذا تنتهي الحكاية.

كالاغنغواس الذي عبر إلى أرض الأشباح

كان هناك ولد اسمه كالاغنغواس، عاش مع والديه في مكان يشتد فيه المدّ والجزر. ذات يوم أكل الوالدان من أعشاب البحر فماتا. ظلت أخت واحدة ترعى كالاغنغواس، لكن لم يمض وقت طويل حتى ماتت هي الأخرى، ولم يعد هناك أحد غير الغرباء يقومون على رعايته.

لم يكن كالاغنغواس يتمتع بالقوة، فالجزء الأسفل من جسمه ميت[1]، وحين خرج الآخرون للصيد ذات يوم، تُرك وحده في المنزل. جلس هناك وحيداً، وفجأة سمع صوتاً. خاف، لكنه تمكّن بألم كبير أن يجرّ نفسه من المنزل إلى منزل الجيران، فوجد مكاناً يختبئ فيه خلف الجلود المعلقة. وبينما كان مختبئاً هناك سمع الضجة ثانية، ثم ظهر شبح وقال: «مرحى! أمن أحد هنا؟».

ومضى الشبح إلى حوض الماء وغرف منه مرتين.

قال الشبح: «شكرا للماء الذي روى عطشي. لقد كنت معتاداً على الشرب عندما كنت حيا».

(1) مصاب بالشلل (م).

ثم غـادر. سمع الولد رفاقه من أهـل القرية قادمين وقد تجمعوا خارج المنزل، ثم بدأوا يدخلون. قالوا عندما دخلوا: «كالاغنغواس ليس هنا».

قال الولد: «أنا هنا، لقد اختبأت عندما ظهر الشبح، وقد شرب من حوض الماء هناك».

عندما ذهبوا لتفقد حوض الماء، لاحظوا أن أحداً شرب منه.

بعد فترة، حدث من جديد أن خرج الناس للصيد، وتُرك كالاغنغواس وحده في البيت. وفجأة بـدأت جـدران المنزل بالاهتزاز، وفي اللحظة التالية، ظهر جمع من الأشباح يدبون داخلين إلى المنزل واحداً بعد الآخر، وتعرف إلى آخرهـم، فقد كان شبح أخته التي ماتت مؤخراً.

جلست الأشباح على الأرض وبـدأت تلعب وتتصارع وتحكي الحكايات، وهي تضحك طول الوقت.

خاف منها كالاغنغواس في البداية، ثم وجد الأمر مسلياً في النهاية لقضاء ليلته. ولم تخفّ الأشباح إلى الرحيل إلا عند سماعها أصوات أهل القرية.

قال الشبح: «لا تخبرهم بأمرنا، وإذا نفذت ما نقول، فستسترد قوتك من جديد ولن يعود هناك شيء تعجز عن فعله».

وبدأوا يدبون واحداً بعد الآخر خارجين من البيت. أما أخت كالاغنغواس فلم تستطع الخروج لأنه كان بمثابة طفلها الصغير وقد أجبرها لمسها له على البقاء معه. لكن عاد الصيادون فانسلت خارجة عند اقترابهم. واستطاع أحدهم أن يرى ظلاً بقدمين، فقال: «ما هذا؟ يبدو كأن قدمين تختفيان».

قال كالاغنغواس: «اسمع سأحكي لك»، وقد أحس بقوته تعود إليه. «كان المنزل مليئاً بمن جعلوا ليلتي مبهجة، وقالوا لي إني سأسترد قوتي من جديد».

لكن لم يكد الولد ينطق هذه الكلمات، حتى خارت قواه ببطء من جديد[1].

ثم سمع رفاقه يقولون وهو يرقد هناك: «يجب أن نتحدّى كالاغنغواس في مسابقة غنائية».

ثم ربطوا الولد إلى عمود وتركوه يتأرجح للوراء وللأمام، وهو يحاول دقّ الطبلة. بعدها استعد الجميع وشرعوا في

(1) لأنه أفشى بالسر، فالسحر يزول عند الإفشاء به (م).

مسابقتهم الغنائية، ثم تركوا الولد الضعيف وراءهم في المنزل وحيداً. كان يرقد هناك وحيداً حين دخل والداه اللذان ماتا منذ زمن طويل، وسألاه: «لماذا أنت هنا وحدك؟».

قال الولد: «أنا ضعيف، وعندما ذهب الآخرون لمسابقة الغناء تركوني وراءهم».

قال والداه: «هيا تعال معنا».

فقال الولد: «هذا أفضل».

وهكذا اقتاداه للخارج فحملاه بعيداً إلى أرض الأشباح، حتى صار كالاغنغواس شبحاً. وقيل إنه أصبح امرأة عندما تحول إلى شبح. لكن رفاقه من أهل القرية لم يروه ثانية.

إسيغاليغارسيك

كان إسيغاليغارسيك رجلاً أعزب، عظيم البأس. وكان أحد أفراد قريته ساحراً. أُخذ إسيغاليغارسيك ليعيش في منزل مع كثير من الإخوة، الذين أحبوه كثيراً.

وعندما أوشك الساحر على استحضار أرواحه، كعادته، نادى من النافذة: «يمكن للرجال المتزوجين فقط المجيء وسماع ما سأقول، وعند خروج الجميع لسماع تحضير الأرواح، كان على الأرملة الصغيرة وابنتها وإسيغاليغارسيك البقاء في المنزل».

وعندما غادر الجميع ذات مرة لسماع الساحر، كعادتهم، بقي الثلاثة وحدهم في المنزل. جلس إسيغاليغارسيك قرب المصباح الصغير على المقعد الجانبي، وهو يعمل.

فجأة سمع ابنة الأرملة تهمس في أذن أمها، فاستدارت الأم نحوه، وقالت: «هذه الفتاة الصغيرة تريدك زوجاً».

وكان إسيغاليغارسيك يريدها زوجة أيضاً، فتزوّجا قبل عودة الآخرين إلى المنزل، وسعد أهل البيت بهذا الحدث.

في اليوم التالي، والوقت ظلام، صاح أحدهم، كما هي العادة: «ليأت فقط من لهم زوجات لسماعي».

فشعر إسيغاليغارسيك، الذي كان أعزب وتزوج، برغبة شديدة في الذهاب وسماع ذلك. لكن حالما دخل، خاطب الساحر زوجته: «تعالي إلى هنا».

عندما جلست، طلب منها الساحر خلع حذائها، ثم وضعه على الإطار الجاف. وبدأ بتحضير الأرواح، وعندما انتهى، قال لإسيغاليغارسيك: «اذهب الآن، لن تكون هذه الفتاة الصغيرة زوجتك بعد الآن».

فكان على إسيغاليغارسيك العودة إلى المنزل من دون زوجته. وفي كل مرة تُعقد فيها جلسة تحضير أرواح، يحاول الذهاب فيقول له الساحر: «أنت، ماذا تفعل هنا، وأنت لا زوجة لك؟».

وذات مرة، تصاعد غضبه، وحالما عاد إلى المنزل، قال: «ذلك الساحر سخر مني كثيراً، لكن حين يطلب مني ذلك في المرة التالية، سأعرف الإجابة».

لكن حذره أهالي القرية قائلين: «لا، لا، عليك ألا تفعل، وإلا قتلك».

لكن في إحدى الأمسيات، عندما بدأ الساحر الشرير يسخر منه كالعادة، قال إسيغاليغارسيك: «وأنت، لماذا أخذت مني زوجتي؟».

وقف الساحر في الحال، فاتجه إسيغالغارسيك نحو المدخل ليهرب، لكن الساحر أمسك بسكين وطعنه مسبباً له جرحاً كبيراً.

ركض إسيغاليغارسيك بسرعة إلى منزله وقال لوالدة زوجته: «أسرعي وأحضري الرداء الذي كنت أرتديه وأنا صغير[1]، من الصندوق هناك».

وعندما أخرجته كان صغيراً حتى بدا كأنه ليس رداء على الإطلاق، لكنه كان جميلاً جداً. فطلب منها غمره في دلو الماء. وعندما ابتل، بات قادراً على ارتدائه، وعندما لامس الجلد جرحه، شُفي.

(1) يفترض أن الرداء الأول الذي ارتداه الطفل يعمل كتعويذة ضد الجراح إذا وضع عليه في الكبر (المؤلف).

عاد أهل منزله بعد جلسة تحضير الأرواح، فظنوا أنهم سيجدونه ميتاً خارج الباب. اقتفوا أثر الدم، الذي أوصلهم إلى المنزل. وعندما دخلوا، لم يكن هناك من أثر لجرح، فشعر الجميع بالسعادة لشفائه. عندها قال: «غداً، سأبارزه بالقوس».

وعندما استيقظوا في الصباح التالي، فتح إسيغاليغارسيك صندوقه الصغير وبحث فيه، فأخرج منه قوساً شديد الصغر حتى تصعب رؤيته في يده. فشدّ وتر القوس، وخرج قائلاً: «اخرجوا الآن وانظروا».

عندها خرجوا، وذهب إسيغاليغارسيك إلى منزل الساحر، ونادى عبر النافذة: «أيها الرجل الكبير، اخرج إليّ، ولنتبارز بالقوس!».

وعندما قال ذلك، ذهب ليقف على ضفة النهر الصغير. التفت ينظر حوله، فرأى الساحر قادماً من منزله، حاملاً قوسه.

قال إسيغاليغارسيك: «تعال إلى هنا».

ثم جمع اللعاب في فمه وبصق مباشرة قرب قدميه.

كرر قوله للساحر العظيم: «تعال إلى هنا».

ثم قفز إليه، واقترب منه أكثر فأكثر، حتى وقف أمامه. صوّب الساحر قوسه باتجاهه، وعندما فعل صرخ أهل البيت بإسيغاليغارسيك: «صغّر نفسك».

وهكذا صغر إسيغاليغارسيك حجمه حتى لم يعد يظهر منه سوى رأسه يتحرك للوراء وللأمام. أطلق الساحر سهمه فأخطأ. وسدد ثانية فأخطأ أيضاً.

عندئذ وقف إسيغاليغارسيك، وأخذ السهم وكسره، ثم قال: «عد إلى بيتك، فلن تستطيع الفوز».

فاختفى الساحر، وهو يدور حول نفسه مرات. وعندما قرر العودة إلى منزله من الطريق نفسها أخيراً، سدّد إسيغاليغارسيك سهمه وأصابه. ولم يسمعوا غير صوت سقوطه. كان السهم صغيراً جداً، فخدعه وهو يطير نحوه، لذلك سقط في الطريق.

وهكذا استعاد إسيغاليغارسيك زوجته، وعاش معها حتى الممات.

الحشرات التي تودّدت إلى رجل أعزب

كان هناك رجل أعزب.

نعم، هكذا تبدأ الحكاية دائماً.

وكان معتاداً على ملاحقة الفتيات في أماكن لعبهن. لكنهن غالباً ما كنّ يهربن منه إلى منازلهن.

وعندما يحل عيد الصيد العظيم، ويبدأ رجال المراكب في الخروج بأعداد كبيرة، كان الرجل يغط في نوم عميق بشكل مخز. ولا يستيقظ إلا بعد مغيب الشمس، حين يعود الصيادون يقطرون غنائمهم وراءهم.

وفي أحد الأيام، استيقظ كالعادة قرب غروب الشمس، فخرج إلى مركبه مثل الجميع، وجذف مبتعداً. وحالما ابتعد قليلاً عن المنزل، سمع رجلاً يصرخ: «مركبي انقلب، ساعدوني».

جذف الرجل وحاذاه من جهة اليمين، فلاحظ أنه أحد عديمي الأنوف[1]، وهم شعب يعيش تحت الأرض.

---

(1) شعب عديمي الأنواف: أعداء الإنسان الذين يسحبون الصيادين متعثري الحظ للأسر تحت المياه القائمة (المؤلف).

قال الرجل الذي انقلب قاربه: «سأعطيك جميع السيور الجلدية المزينة بأنياب الفظ»

رد الأعزب: «لا، تلك الأشياء لا تصلح لي، الشيء الوحيد الذي أعجز عن التغلب عليه هو نومي التعيس».

قال رجل النار[1]: «ادخل معي في الأرض أولاً».

وذهبا معا. عندما وصلا، قال الرجل عديم الأنف[2]: «هذا هو الرجل الذي أنقذ حياتي عندما كنت على وشك الموت».

قال الرجل الأعزب: «أنقذت حياتك لأنه تصادف أنني كنت قريباً منك، إنها المرة الأولى التي أخرج فيها بمركبي منذ أيام».

فقال عديم الأنف: «يمكنك اختيار وحش واحد فقط لحراستك في طريق عودتك إلى المنزل. واحرص على عدم البوح بما شاهدته، وإلا فلن توفّق في صيدك».

تلك كانت كلمات رجل النار. عندئذ جذف الرجل الأعزب عائداً إلى منزله.

---

(1) اسم آخر للكائن نفسه (م).
(2) لقومه (م).

وبعدما حان موعد عودة الرجل المترقبة، بات مرئياً، فابتهجت الشابات مما وقع له من سوء الحظ، فلم يكن يُطقن رؤيته.

ظهر فجأة في الصورة، فصرخن جميعاً: «ظهر رجل يشبه الأعزب».

وهُرِعت جميع الفتيات العزباوات إلى منازلهن.

صرخت إحداهن: «لقد نال الرجل الأعزب صيداً».

وفي المساء ذهب الأعزب ليرتاح، وحالما طلع الصبح، خرج للصيد قبل زملائه بوقت طويل. وقبل طلوع الشمس في السماء، عاد إلى منزله مع ثلاث فقمات، في حين كان زملاؤه يستعدون للخروج للصيد.

وهكذا مرت الأيام على الرجل الأعزب. كان يخرج في الصباح الباكر، وعندما تبدأ الشمس بتسلق السماء، يعود مع صيده.

فبدأت الفتيات العزباوات بالتحدث فيما بينهن. قلن: «ماذا حدث لرجلنا الأعزب؟»، وبدأن يتنافسن للحصول على رضاه.

صرخن جميعاً: «أنا له، أنا له».

فالتفت الأعزب نحوهن، واختار أفضلهن وهو يضحك.

وهكذا عاش الزوجان، وراحا يتناولان يومياً لحم الفقمة الطازج. أخيراً شعرت الزوجة بالملل، فصاحت به: «لِمَ تصطاد دائماً بهذه الكثرة؟».

قال: «هممم، إن الفقمات تأتي بنفسها إلي، وأنا أصطادها، هذا كل ما في الأمر».

لكنها ألحت في السؤال، فقال أخيراً: «القصة وما فيها. مرة ...»، ثم توقّف عند هذا الحد، وذهب لينام. لكنه تقلب في فراشه أرقاً قبل أن يغط في النوم. وارتفعت السماء فوق منازل القرية قبل أن يستيقظ في اليوم التالي.

وفي ذلك اليوم لم يصطد سوى فقمة واحدة.

في المساء، بدأت زوجته تلح في سؤاله، ورأى أنها لن تكف عن إلحاحها، فقال لها أخيراً: «الأمر على هذا النحو. مرة ... آه، استيقظت في المساء، وجذفت، فسمعت صوت رجل يصرخ طلباً للمساعدة، لأن مركبه انقلب رأساً على عقب. فجذفت باتجاهه وأعدته إلى وضعه الطبيعي، وعندما نظرت إليه، كان واحداً من شعب عديمي الأنوف. فقال لي: يبدو أنك لا تعمل

وتمضي وقتك في التجوال بين المنازل. فقلت له: لا عمل لدي سوى التجوال في مركبي».

وهكذا أخبر الجميع بما حدث له ذلك اليوم، ومنذ ذلك اليوم فقد قدرته على الصيد، وعاد إلى عادته القديمة في النوم، فخسر كل شيء.

في النهاية لم يعد لديه ما يكفي من الجلود لكي تصنع زوجته منها ملابسها، فهربت وهجرته. شرع بمطاردتها، غير أنها هربت عبر صدع في الصخور، إلى مكان ضيق لم يستطع المرور منه. استلقى هناك بانتظارها، وسرعان ما سمع همساً من الداخل: «اخرجي إليه».

شاهد الأعزب ذبابة زرقاء كبيرة تتقدم نحوه ببطء. قالت: «خذني».

قال الأعزب: «لن آخذك، لأنك تحصلين على طعامك من القذارات».

فضحكت الذبابة وعادت من حيث أتت، فسمعها تقول: «لن يأخذني، لأني ألتقط طعامي من القذارات».

وازداد الهمس في الداخل: «والآن اذهبي أنت».

فخرجت ذبابة وقالت: «ربما تأخذني أنا».

قال الأعزب: «شكراً، لكني غير مهتم بك على الإطلاق. فأنت تضعين بيضك في كل مكان، وعيناك كبيرتان كريهتان».

عندها ضحكت الذبابة، ودخلت تحمل الرسالة نفسها كالتي سبقتها.

فتصاعد الهمس من الداخل ثانية.

قالت الذبابة صاحبة الأرجل الطويلة: «خذني».

قال الأعزب: «لا، فأقدامك طويلة جداً»، فدخلت الذبابة وهي تضحك.

ثم خرجت أم أربع وأربعين، وقالت: «خذني».

قال الأعزب: «لن آخذك، لأن لك الكثير من الأقدام التي يلتصق جسمك بالأرض بواسطتها، وعيناك ببساطة مقرفتان».

فضحكت أم أربع وأربعين بصوت عال ودخلت.

تهامست الحشرات بين بعضها بعض ثانية، فخرجت بعوضة.

قالت البعوضة: «خذني».

قال الأعزب: «شكراً، لكنك تعضّين».

فضحكت البعوضة وعادت إلى الداخل ثانية.

وأخيراً عرضت عليه زوجته الدخول، لأنه لم يأخذ أياً من الحشرات، فتدبر أن يضغط جسمه عبر الشِقّ، فوصل إلى زوجته.

قال الأعزب: «مشّطي شعري». وهو يشعر بسعادة غامرة.

فبدأت زوجته تمشّط شعره وهي تقول: «لا تستيقظ حتى يبدأ طائر الفلمار[1] بالصراخ، ونم حتى تسمع صوت فراخ الطيور».

فغطّ في النوم.

وعندما استيقظ أخيراً وجد نفسه وحيداً. شاهد الأرض زرقاء مع مجيء الصيف، والفلمار يصيح بصوت عال فوق الجرف. ثم بدأ الشتاء، فزحف خارج الشِقّ. وعندما ركب قاربه، كان جلده الخارجي قد تعفّن بفعل الزمن.

وأظن أنه وصل إلى منزله كالعادة، وجلس يهرش جسمه بهدوء.

(1) طائر الفلمار: طائر بحري من طيور القطب الشمالي (م).

الرجل الشديد العناد

كان هناك رجل عنيد، لا يجاريه أحد في العالم بعناده. ولا يتجرأ أحد على الاقتراب منه، فقد كان شديد العناد، وله طريقته الخاصة في كل شيء.

حدث يوماً أن كانت زوجته في حداد على طفلها الصغير، وأُجبرت على البقاء في المنزل بلا عمل، فهذه كانت العادة في زمان الجهلة، وهذا ما قد نفعله حين نكون جهلة مثلهم.

وبينما هي عاطلة عن العمل وقت الحداد، جاء زوجها العنيد يوماً وقال: «عليك أن ترتقي جلد مركبي».

قالت الزوجة: «تعلم أنه غير مسموح لي القيام بأي عمل».

فردد ثانية: «عليك أن ترتقي جلد مركبي. اجلبيه إلى الشاطئ وقومي برتقه هناك».

وهكذا أُجبرت المرأة طوال فترة حدادها على النزول إلى الشاطئ

ورتق جلد مركب زوجها. لكن حين كانت تخيط رويداً، بدأ خيطها يصدر صوتاً خفيضاً، وتحول الصوت إلى دمدمة، ثم أخذ يعلو أكثر فأكثر. وفي النهاية خرج وحش من البحر، وكان على هيئة كلب، وقال: «لماذا تعملين، وأنت ما زلت في فترة الحداد؟» قالت: «زوجي لم يستمع لي، لأنه عنيد جداً».

عندها وثب الكلب الضخم إلى الشاطئ وانقضّ على الزوج.

لكن الرجل العنيد لم يرتبك، وكالعادة، فكر أنه سيتبع طريقته الخاصة، التي تقتضي قتل الكلب. فتصارعا، وقُتل الكلب.

لكن صاحب الكلب ظهر واتضح أنه رجل القمر. ثم انقض على الرجل العنيد الذي، كالعادة، لم يهرب، بل انقض عليه بدوره. أمسك بخناق رجل القمر، حتى كاد يقتله.

قال رجل القمر: «لن يكون هناك مدّ وجزر إذا خنقتني».

لم يهتم الرجل العنيد بما سمعه، بل أحكم قبضته أكثر.

فصرخ رجل القمر: «لن تتوالد الفقمة ثانية إذا خنقتني».

لكن الرجل العنيد لم يهتم البتة، رغم أن رجل القمر استمر في تهديداته.

قال رجل القمر أخيراً: «لن يعود هناك شروق وغروب إذا قتلتني».

عندئذ داخل الرجل العنيد بعض التردد، لم يحب فكرة العيش في الظلام إلى الأبد. فأطلق سراح رجل القمر.

فدعا رجل القمر كلبه للعيش ثانية، وقرر مغادرة ذلك المكان. جمع كلابه وأطلقها في الهواء واحداً بعد الآخر، ولم تنزل ثانية، وبقيت جميع كلاب الزلاجات تحوم في الهواء.

سأله الرجل العنيد: «هل يمكنني زيارتك في القمر؟». فقد شعر فجأة برغبة شديدة في ذلك.

قال رجل القمر: «نعم، يمكنك المجيء، لكن عندما ترى صخرة ضخمة في طريقك، فاحرص على أن تسير خلفها. ولا تمرّ من الجانب المشمس، فإن فعلت ذلك فسيتمزق قلبك».

ثم فرقع رجل القمر بسوطه، واخترق الهواء.

بدأ الرجل العنيد يستعد لرحلته إلى القمر. كان معتاداً على الاحتفاظ بكلابه داخل المنزل، فنمت طبقة كثيفة من القذارة على فرائها. فأخذها إلى البحر لتنظف أنفسها، ولأن الكلاب

لم تعتد الخروج، فقد تجمدت حتى الموت في تلك المياه الباردة، وراحت ترتجف من البرد.

أخذ بعدها الرجل العنيد كلباً، وأطلقه في الهواء، لكنه عاد في تثاقل إلى الأرض. أطلق آخر، فحصل الشيء نفسه، ثم الثالث، لكنها سقطت جميعاً. كانت لا تزال قذرة. لكن العنيد لم يستسلم، فأطلقها ثانية إلى البحر.

وعندما حاول إلقاءها ثانية في الهواء، انطلقت.

لكن عندما وصل إلى الصخرة، كان عليه أن يلتف من حولها، فقال الرجل العنيد لنفسه: «ولماذا ألتفّ حول الصخرة؟ سأذهب من الجانب المشمس».

وعندما تقدم، سمع صوت امرأة تدندن، وتشحذ سكينها، استمرت بالغناء، وسمع رنين المعدن وهي تعمل.

حاول التغلب على العجوز، لكنه فقد وعيه، وعندما استرده، وجد أنه قد فقد قلبه.

فكر بينه وبين نفسه: «كان علي أن ألتفّ حول الصخرة».

ثم ذهب من الجانب الظليل. وهكذا صعد إلى القمر، وأخبرهم كيف فقد قلبه.بمجرد أن حاول الالتفاف حول الصخرة من الجانب المشمس.

فطلب منه رجل القمر الاستلقاء على ظهره، بعد أن فرش الأرض بجلد فقمة أسود. فنفذ العنيد ما طُلب منه، حينئذ جلب رجل القمر قلبه من المرأة وقام بحشوه ثانية في مكانه.

ثم وهو هناك، رفع رجل القمر حجراً من الأرض، وجعل العنيد ينظر من الفتحة التي أحدثها إلى الأرض. فرأى هناك زوجته جالسة على المقعد تجدل الخيوط، بالرغم من أنها كانت في فترة الحداد. كان يتصاعد من جسدها دخان كثيف، دخان أفكارها الشريرة. وكانت أفكارها شريرة لأنها كانت تعمل قبل انتهاء فترة الحداد.

فتصاعد غضب زوجها عليها، متناسياً أنه هو من أمرها بالعمل برغم حدادها.

وبعد مراقبته لها بعض الوقت، فتح رجل القمر حجراً من حجارة مدخل الطريق وجعل العنيد ينظر للأسفل. كان المكان مليئاً بحيوانات الفظّ، وكانت من الكثرة إلى درجة أنها تراكمت فوق بعضها بعض.

قال رجل القمر: «أمر ممتع صيد تلك الحيوانات».

فشعر العنيدبرغبة قوية في طعن أحدها برمحه.

قال رجل القمر: «لكن لا يجب أن تُقدم على ذلك، لأنك لن تستطيع فلا تحاول». ووعده مشاركته في الصيد الذي يأتي به هو.

لكن العنيد لم يقتنع، فأخذ الرماح من مخزن رجل القمر، وطعن الفظ.

وعندما علّقه في الخيط أصبح رجلاً عظيم القوة، فقد تمكن من قتله. وتعامل بالطريقة نفسها مع حيوان آخر.

وبعد عودته من موطن رجل القمر، تخلى عن عناده، ولم يجبر زوجته ثانية على العمل في أثناء الحداد.

الأقزام

رأى رجل كان على ظهر مركبه مركباً آخر في البعيد، فجذّف نحوه. وعندما وصل إليه، اكتشف أن الرجل الذي يجلس فيه صغير الحجم جداً. كان قزماً.

قال القزم الذي شعر بخوف شديد من الرجل: «ماذا تريد؟».

قال الرجل: «رأيتك من بعيد فجذفت نحوك».

لكن كان خوف القزم واضطرابه جليين واضحين.

قال: «كنت أحاول اصطياد فقمة، لكنني عجزت عن ذلك».

قال الآخر: «إذن دعني أحاول». وهكذا انتظرا حتى خرجت الفقمة لكي تتنفس[1]. وما كادت ترفع رأسها حتى بدأت الرماح تتطاير إليها، ودخلت بين عظمتي كتفيها.

صرخ القزم بدهشة: «آي، آي، يا لها من رمية!».

(1) عندما ينتشر الجليد على البحار، تشق الفقمة لنفسها شقا في الجليد تخرج منه رأسها لتتنفس، عندها يضربها الصيادون برماحهم (م)

فسحب الرجل الفقمة وشدها إلى حبل القَطْر.

ثم جذف المركبان تجاه البر.

قال القزم فجأة «هممم، هممم. هل تمانع في... المجيء لزيارتنا؟»[1]

فسُرّ الرجل بهذا العرض.

«هممم، هممم. لديّ زوجة... وابنة... ابنة جميلة جداً. رغب فيها كثير من الرجال... لكن لم يعجبها أحد... ولا يمكن أخذها بالقوة... فهي قوية جداً. حتى إني فكرت باتخاذها زوجة لي[2]... هممم، هممم. لكن ابنتي هذه... قوية عليّ بالنسبة إليّ».

جذفا لفترة، ثم تحدث القزم ثانية: «هممم، هممم. قد تتولّى أنت أمرها... فتدبّر أنت أمرها... ما رأيك؟».

قال الرجل: «لنرها أولاً»، ثم جذفا إلى مضيق شديد العمق.

عندما وصلا نزلا إلى البر واتجها مباشرة إلى منزل القزم.

(1) يظهر الراوي القزم وهو يتحدث بشكل متقطع وبسرعة وتشنج، ليجسد حالة خجل الرجل الصغير (المؤلف).
(2) ربما درجت العادة في أساطير الأقزام قديماً أن يتزوج الأب من ابنته (م)

وهناك فعل أهل المنزل ما بوسعهم لإدخال السرور على قلب الغريب. وبعد جلوسهم بعض الوقت، قال الشيخ: «همم، هممم... اصطاد ضيفنا طريدة... وجلب لنا لحمها».

طغت السعادة على أهل المنزل لأنهم سيأكلون من لحم الفقمة الصغيرة. فقال الضيف: «إذا كنتم مهتمين بطبخ هذا اللحم، فعليكم الاستعداد للعمل وتقطيعه. قطّعوه وأعطوا كل من يرغب في أكله».

سر القزم الشيخ لسماع ذلك، فأرسل زوجته وابنته لتقطيع الفقمة. لكنهما أطالتا البقاء في الخارج، ولم يأت أحد باللحم. فخرج القزم بحثاً عنهما، فوجدهما تحاولان جرّ الفقمة الصغيرة من الشاطئ لكن من دون جدوى. فحاول القزم مساعدتهما، لكنهم أخفقوا جميعاً في جرها. بذل الثلاثة أقصى طاقتهم وانحنت أجسادهم على الأرض، ولم تتحرك الفقمة. وأخيراً خرج الغريب، وأمسك الفقمة من زعنفتها بيد واحدة، وحملها عائداً.

صرخ الثلاثة: «يا لها من قوة، يا لها من قوة! الرجل عملاق بالفعل».

وبدأوا بتقطيع لحم الفقمة، بدوا كأنهم يقطعون فظاً ضخماً، نظرا لما واجهوه من صعوبة في تقطيع الفقمة الصغيرة.

هُرع الناس من منازلهم صاعدين إليهم، يمنّي الجميع نفسه بحصة من اللحم. عندئذ قامت نساء المنزل بتقسيم لحم الفقمة وتوزيعها عليهم. أخذ كل واحد منهم قطعة صغيرة من عظم الصدر، لكنها عنت لهم الكثير من اللحم. وعندما حملوا قطع اللحم، وصلت إلى الأرض لشدة قصرهم، وغطّى الدهن أيديهم وملابسهم.

وفي الداخل أخذت عجوز شمطاء تحاول التقرّب من الضيف. حشرت نفسها قريباً منه واستمرت في التحدث معه وإغراءه بالنظرات. كانت مسنة قبيحة، ولم يجد الرجل ما يفعله معها. وفجأة أطلق صفارة عالية.

صرخت العجوز الشمطاء في خوف «أوه، أوه!»، وسقطت عن المقعد. ثم تعثرت مبتعدة في الطريق، واختفت.

وبعد أن تمتعوا بلحم الفقمة، صرخ أولئك الآتون من المنازل الأخرى: «ليأت الضيف معنا، لنطعمه كبد الثعالب!».

ولما لم يأت معهم فوراً، صرخوا ثانية. فدخل. كان المنزل مليئاً بالناس المنشغلين بأكل كبد الثعلب.

قال الأقزام: «من الصعب تقطيع كبد الثعلب، فهو جاف».

فأخذه الضيف ومضغه بصوت طاحن وسحقه تحت أسنانه كأنه لحم طري.

صرخ بعضهم: «آي، آي، انظروا كيف يأكل».

عامله أهل المنزل بلطف، وسرّهم أن يتزوج من عائلتهم. وهكذا زينت النسوة الشابات شعورهن بصدف بلح البحر الأنيق، وفكر الضيف أنهن رائعات. لكنه لم يهتم بأمر أي منهن منهن، لأن ابنة الشيخ كانت أجملهن.

وعندما حان وقت الراحة، عاد الرجل أدراجه إلى المنزل. وطلب الزواج من ابنة القزم العجوز.

وهكذا عاشا معاً بسعادة، وسرعان ما رُزقا بطفل.

لكن الرجل بدأ يحن إلى منزله الأول وإلى أهله، وخاصة إلى أمه العجوز التي كانت لا تزال حية عندما غادر.

وذات يوم قال إنه ذاهب لزيارة بلده.

قال الشيخ القزم: «سنذهب جميعاً معك لزيارة أهلك».

وأخذوا يستعدون للرحلة، ثم انطلقوا.

وعندما وصلوا إلى حيث يعيش أهله، ذهل هؤلاء لرؤيته حياً، لأنهم ظنوه قد مات منذ زمن طويل. وعاش الأقزام بسعادة بين البشر العاديين، وبعد فترة قصيرة نسوا اضطرابهم وخوفهم.

لكن في أحد الأيام وقفت الجدة الأم عند مدخل الطريق مع حفيدها، فسقط الطفل من يديها في الطريق.

سمعت صوت «هيلارب، هيلارب، هيلارب». ونظرت فرأت كلباً، نصف وجهه أسود والنصف الآخر أبيض، والتهم الطفل بالكامل.

صرخت: «آي آي، لم يبق منه سوى لطخة صغيرة».

شعر الأقزام برعب شديد، فشرع شيخهم في الاستعداد للهرب، وكذلك فعل الآخرون الذين حزموا أمتعتهم وغادروا فوراً.

وصاروا كلما وصلوا إلى قرية، اتجهوا إلى الشاطئ. وغالباً ما كان الشيخ يتنقل وخيمته الجلدية على ظهره. وأول ما يسأل عنه هو: «هل هناك كلاب؟ هل يوجد وحش ضخم له وجه أسود وأبيض؟».

«أجل بالتأكيد».

وقبل أن يلتفتوا، يكون الشيخ قد جذّف بقاربه مبتعداً، فقد كان خوفه من الكلاب عظيماً.

وفي النهاية، تمزق جلد جبهته من حمله جلد الخيمة إلى الشاطئ وبالعكس[1].

وذات يوم كانوا مضطجعين عندما هبّت رياح قوية من الشمال.

سأل الشيخ: «أمن كلاب هناك؟».

وتأوه من الألم الشديد بسبب انسلاخ جبهته من كثرة حمله جلود الخيمة صعوداً ونزولاً. وقبل أن يجيبه أحد، سمع عواء الكلاب نفسها. فعاد بمركبه على الفور.

(1) عند وضع حمل ثقيل على الظهر، يُدعم بحبل أو حزام يمر عبر الجبهة (المؤلف).

هبت الرياح أقوى. وكسا الزبَد الأبيض البحر.

عندها وقف القزم بمركبه وصرخ: «السماء تجلو الغيوم باتجاه الشرق».

كانت تلك أغنية سحرية، وحالما غناها، هدأ البحر وصفا أكثر فأكثر.

واصل الشيخ غناءه. فقد كانت الكلمات السحرية من القوة إلى درجة أنها هدّأت البحر. لكنه لم ينل السكينة، بسبب الكلاب.

ومضى في طريقه ثانية، لكني لا أعرف إلى أين وصل أخيراً.

صبي أعماق البحر الذي أرعب أهل البيت حتى الموت

كما ترون، بدأ الأمر كالمعتاد: اتّخذ «الرجل العنيد» زوجة، وبالطبع كان يضربها، وعندما يريد أن يقدّم لها وجبة ضرب أكبر، كان يتناول صندوقاً، ويروح بضربها به.

ذات يومٍ، وهو يضربها كالمعتاد، هربت. وكانت على وشك أن تلد طفلها في ذلك الحين. اتجهت مباشرة إلى البحر، وشارفت على الغرق، لكنها فجأة استردت وعيها، ووجدت نفسها في قاع البحر. وهناك بنت لنفسها منزلاً.

وبينما هي في الأعماق، ولد الطفل. لكن عندما نظرت إليه، كادت تموت رعباً، فقد كان بشعاً جداً. فعيناه كانا عيني قنديل البحر، وشعره من الطحالب البحرية، وفمه شبيه بفم بلح البحر[1]. وهكذا عاش الاثنان في الأعماق معاً. وبعد أن كبر الطفل قليلاً، سمع الأطفال يلعبون على سطح الأرض، فقال: «أرغب في الصعود ومشاهدة ما يجري».

(1) ضرب من الرخويات (م).

قالت أمه: «عندما تكبر وتصبح أقوى، يمكنك أن تذهب».

فبدأ الصبي ممارسة أعمال القوة[1] بحمل الحجارة. وبات أخيرا قادراً على حمل حجارة بحجم الخزانة، وحملها إلى المنزل.

ذات مساء، وكان الظلام مخيّماً، سمعا ثانية صراخاً من أعلى. بدا الأطفال غير مكتفين بالصراخ في أثناء لعبهم، بل راحوا يصرخون بكل قوتهم: «لويو– يويو– يويو».

قالت الأم: «سأرافقك الآن، لكن عليك عدم الاقتراب من المنازل القريبة من الشاطئ، فقد كنت أهرب حين يضربني والدك، وقد عانيت الكثير من الألم هناك. لذلك حين تريهم وجهك عليك أن تظهر غضبك قدر الإمكان».

هناك منزلان على الشاطئ، يبعد أحدهما قليلاً عن الآخر. وعندما صعدا، رأت المرأة ابنها يتجه فجأة إلى البيت الأقرب إلى الشاطئ. فصرخت: «لا، لا! عندما كان والدك يضربني، كنت أهرب دائماً إلى هناك. فاذهب للمنزل الآخر».

(1) بدأ يمارس التمارين الرياضية (م).

عندما وصل إلى ذلك المنزل، وقف على عتبته فشاهد كل من في الداخل وجهه البغيض، وتصاعد الغضب إلى رأسه، فسقط من في الداخل صريعاً من الرعب. نزل ثانية إلى قاع البحر. وعندما طلع الصبح، خرج أهل المنزل القريب من الشاطئ وقالوا: «آي! ما آثار هذه الأقدام، إنها مليئة بطحالب البحر؟».

ورأوا أن آثار الأقدام تؤدي إلى المنزل في الأعلى، فاتّبعوها ووجدوا أن الجميع في الداخل قد ماتوا رعباً.

الغراب الأسود والإوزة

هل تعلمون لماذا الغراب فاحم السواد، شديد الكسل؟ كل هذا بسبب عناده. وإليكم ما جرى:

حدث ذلك في الأيام التي نالت فيها جميع الطيور ألوانها وريشها. وتصادف أن التقى الغراب والإوزة، فاتفقا على تلوين واحدهما الآخر.

بدأ الغراب، فلوّن الإوزة باللون الأسود، ثم خطّها ببعض اللون الأبيض الجميل.

رأت الإوزة أن الألوان جميلة جداً، وبدأت بفعل الشيء نفسه في الغراب، فلونت ريشه بالألوان عينها.

لكن استشاط الغراب غضباً، فأعلن أن زينته بشعة إلى حد مخيف، فغضبت الإوزة كثيراً، وقامت ببساطة بطلاء الغراب كله بالأسود.

وها قد عرفتم لماذا لون الغراب أسود هكذا.

عندما تكلم الغراب الأسود

في قديم الزمان، كان هناك وقت تتكلم فيه الغربان. لكن الغريب أنها كانت تقول عكس ما تعنيه. فعندما تريد تقديم الشكر لقاء معروف، تخرج منها كلمات السباب، وهكذا دأبت على قول عكس ما تقصده.

لكن هذا الوضع جعلها تكذب كثيراً، فجاء شيخ، وأزال بأساليبه السحرية قدرتها السحرية على النطق. ومنذئذ لا تفعل الغربان سوى النعيق.

لكن طبيعة الغربان لم تتغير، وإلى يومنا هذا تملك طبعاً مشاكساً وكثيرا ما تمارس الكذب والسرقة.

ماكايت

اتّخذ ماكايت، حسب ما يُحكى، زوجة لها كثير من الإخوة، لكنه كان عاجزاً عن اصطياد فقمة عندما يخرج بقاربه، في الوقت الذي كان إخوة زوجته يعودون بصيد وفير. وقد سمع زوجته في أحد الأيام تقول إنها ستهجره، لأنه لم يصطد شيئا على الإطلاق. فابتأس بشدة، وراح يكلّم نفسه: «هذه الليلة، بعد أن ينام الجميع، سأصعد إلى التلال وأعتزل الناس».

عندما حل الظلام، مضى إلى التلال، لكن حالما خرج، رآه والد زوجته، وكان جالساً في الخارج، فنادى الآخرين بالمنزل: «ماكايت صعد ليعتزل في التلال. فاتبعوه».

تبعه جميع الأخوة، لكن حالما اقتربوا منه، وسّع خطواته[1]، وهكذا ابتعد عنهم أكثر فأكثر، فتوقفوا أخيراً عن مطاردته.

(1) أخذ يركض (م).

وفي طريقه عرج على منزل مع انبلاج الصبح تقريباً. نظر فيه، فرأى جلود الرنة والثعالب معلقة على الجدار. فقال محدّثاً نفسه: «حسناً، يستحسن أن أدخل».

لكنه وهو يدخل، صرّ مِفصل الباب، فصدر عنه صوت غريب عميق، سمعه أهل المنزل، ثم أخذ الباب بالاهتزاز.

وفي اللحظة نفسها، دخل سيد المنزل، وقال: «ألم تتناول شيئاً حتى الآن؟».

قال ماكايت: «لن أتناول شيئاً حتى تخبرني ما هذه التي تبدو كالشموع، هناك قرب النافذة».

عندئذٍ قال الرجل المعتزل: «هذه لا تهم غير المعتزل. فلا أستطيع إخبارك».

لكن ماكايت قال عندها: «إن لم تخبرني قتلتك».

فأخبره أخيراً.

«ربما شاهدت اليوم التلال العظيمة في السماء ناحية الجنوب، وإذا تسلقت قمة أقرب تل فلن تجد شيئاً هناك، لكن من يتسلق التل الأبعد ويبلغ قمته، فسيجد هناك

مثل هذه الأشياء. لكن هذا لا يحدث ما لم يكن الشخص معتزلاً».

ولم يتناول ماكايت طعامه حتى فرغ الرجل من كلامه.

بعدئذ ركنا إلى الراحة. وحين أوشك ماكايت على الاستغراق في النوم، بدأ الرجل المعتزل يهتزّ بشكل طفيف، لكن ماكايت تظاهر بالنوم. وقبل أن يرى أو يدرك ما حصل، شد الرجل المعتزل وتر قوسه وصوّبه نحو ماكايت. فتظاهر الأخير عندئذ بالاستيقاظ، فألقى الآخر قوسه جانباً بسرعة بادياً كأنه لا يحمل شيئاً على الإطلاق. استغرق الرجل المعتزل أخيراً، عند اقتراب الفجر، في النوم، فحاول ماكايت جاهداً أن يرحل، لكن عندما أوشك على المرور من الباب، حدث أن جرّ الباب خلفه، فصرّ بصوت غريب. وعندما نظر عبر النافذة وجد المعتزل على وشك النهوض من النوم.

كان ماكايت قد خبّأ رمحه الضخم بعيداً بعض الشيء عن المنزل، فركض باتجاهه. وعندما نظر حوله رأى أن صاحب المنزل قد خرج لمطاردته. فاتجه إلى صخرة كبيرة، ولأنه لم يكن هناك من وسيلة لتجاوزها، فقد أخذ يدور حولها. وحينما دار

حولها للمرة الثالثة، قبض على رمحه بإحكام، ومن دون أن يلتفت غرزه إلى الخلف، فاصطدم بشيء ناعم. أصاب الرجل الآخر في جنبه.

قتل الرجل، ولأنه لم يعرف كيف يمضي، فقد سار عشوائياً، فوصل إلى سهل واسع. وفي منتصف السهل وجد ما يشبه المنزل. فذهب إليه ووجده منزل قزم، تخرج منه أعداد غفيرة من الناس. واحد يدخل وآخر يخرج، واستمروا على هذا المنوال. حاول الوصول إلى الممر، لكنه لم يتمكن من وضع قدمه فيه[1].

حينئذ سمع أحدهم يصيح من الداخل: «ارفع الطريق قليلاً بظهرك ثم ادخل».

عندما دخل، وجد المكان كبيراً، فكلمه الشيخ القزم قائلاً: «عندما تخرج انظر باتجاه الغرب، فساكنو الغرب قادمون».

وعندما خرج ماكايت تطلع نحو الغرب فرأى شيئاً أسود كبيراً يقترب، وحينما دخل ثانية اتجه الشيخ إلى النافذة وأخذ ينادي: «ها هم يقتربون».

(1) بسبب شدة ضيقه فهو ممر إلى بيت الأقزام (م).

حينئذ خرج الأقزام ليقاتلوا فاتخذوا مواقعهم في السهل، كل مجموعة إزاء الأخرى، ولم ينبس أحد بكلمة.

فجأة نبح الكلب الذي كان مع جماعة البر بصوت عال فظهرت موجة ضخمة جرفت الأقزام مباشرة. لكن حين اقترب الكلب أكثر بدا أصغر فجأة. ثم نبح كلب الأقزام. فارتفعت موجة الأقزام نفسها وجرفت قوم البر وأغرقتهم ولم ينج منهم إلا القليل.

عندما عادوا إلى موطنهم ثانية، بنى ماكايت لنفسه منزلاً، ومن التل العالي تناول بعضاً من تلك الأشياء التي تشبه الشموع وعلقها على جدران منزله. وعاش هناك حتى الممات.

هكذا تنتهي الحكاية.

أسالوك

يقول الناس إنه كان لأسالوك أخ بالرضاعة. وقد عاد ذات مرة إلى البيت من رحلة صيد بمركبه فوجد أخاه بالرضاعة قد اختفى. بحث عنه في كل مكان، ولما عجز عن العثور عليه بنى زورقا كبيراً، ثم غطاه بثلاث طبقات من الجلد.

شرع يجذف ناحية الجنوب مع زوجته. وبينما يجذفان، شاهدا موجة صغيرة سوداء في البحر. عندما وصلا إليها وجدا أنها قمل البحر[1]. فتآكلت الطبقة الخارجية من جلود القارب قبل وصولهما إلى مبتغاهما.

استمرا بالتجذيف فشاهدا أكثر من موجة سوداء أمامهما. وعندما وصلا إليها وجدا أنها ثعابين البحر. فمضيا ثانية وقد خسرا الطبقة الثانية من الجلود.

(1) قمل البحر: نوع من الطفيليات البحرية التي تتغذى بصورة خاصة على سمك السلمون (م)

لم يتبق لديهما غير طبقة واحدة من الجلود، فتعمقا في البحر متوجسين مما قد يصادفانه ثانية. لكن من دون أن يلاحظا أي شيء غريب التفا حول رأس صخري، فلمحا حشداً من المنازل. لم ينزلا إلى البر حتى لمح الغرباء قاربهما وسحبوه، على الرغم من أن أسالوك لم يطلب المساعدة.

علما بعدئذ أن هؤلاء القوم لهم رجل قوي يعيش بينهم. لم يقض أسالوك غير وقت قصير في أحد المنازل، حتى سمع صوت أحدهم قادماً من الخارج، ورأى في الممر الصبيّ الواشي الذي يعمل لصالح الرجل القوي، ومما زاد الطين بلة أنه كان أحول النظر.

قال أهل المنزل: «سيخبره الولد الشقي غالباً أنكم هنا».

وفي الوقت الذي أوشك فيه الولد على الهرب، أمسكوه فأجلسوه خلف المصباح. لكن ما إن أداروا له ظهورهم لحظة، حتى انسلّ خارجاً قبل أن يتمكن أحد من الحركة. وسمعوا وقع قدميه الراكضتين على الأرض التي ذاب الثلج عنها. وبعد فترة احمرت النافذة من الوجوه التي ازدحمت عليها وكانوا يقولون:

«لقد أرسلنا لكي ندعو الغريب».

ولأنه لم يساعده أحد فقد مضى أسالوك معهم. حينما دخل المنزل كان مليئاً بالناس، نظر حوله فرأى الرجل القوي جالساً على المقعد الكبير. وعندما لمحه أسالوك، قال الرجل القوي بصوت عميق: «لنلعب مصارعة اليد».

وبينما يتكلم سحب الآخرون جلداً من تحت المقعد وفرشوه على الأرض. وبعد فرش الجلد مُدّ الطعام. أتى أسالوك على جميع طعامه. لكن عندما نهض، أخرج كل ما في جوفه. وبدأ كل يشد ذراع الآخر.

شرع أسالوك في شد الأذرع، وتفوق على جميع الرجال، حتى بليت جلدة ذراعه مخلفة لحمها عارياً.

وعندما غلبهم جميعاً خرج من ذلك المنزل بوصفه الأقوى، فمضى إلى زورقه وجذف مبتعداً ناحية الجنوب مع زوجته. جذفا قليلاً حتى وصلا إلى جزيرة صغيرة أقاما فيها خيمتهما في جانب مشمس. وعندما تسلّق أسالوك سفح التل ليستطلع، رأى زوارق كثيرة آتية من جهة الشمال ثم عسكرت في الجانب المظلم. سمعهم يقولون: «فتشوا حولكم بحرص».

وقال آخرون: «فقد يكون في هذه الجزيرة الصغيرة».

ردد أسالوك أغنيات سحرية[1] فوقهم من أعلى التل، فسمعهم أخيراً يقولون: «يفضل أن نعود لموطننا».

وقف أسالوك وراقبهم وهم يجذفون مبتعدين. انتظر حتى غابوا عن نظره، فاتجه جنوباً. وصل أخيراً مع زوجته إلى موطنهما ألوك، وهناك ما زالت ترقد عظامهما.

وهكذا تنتهي الحكاية.

(1) تعاويذ أو رقى (م).

أوكاليك

يروى أن أوكاليك كان رجلاً قوياً. حين يسمع خبراً عن طريدة، حتى لو كانت دباً كبيراً، فإنه يطاردها ولا يخفق قط في اصطيادها.

حين جاء الشتاء وصارت الماء جليداً، بدأ الرجال الخروج لصيد الدببة. ذات يوم كان هناك دب كبير. شرع أوكاليك في مطاردته لكنه وجد فوراً أنه ليس من السهل أن يصرعه.

لمح الدب أوكاليك فراح يلاحقه، ففرّ منه لكنه سرعان ما تعب. تمكن من جرح الحيوان مراراً، لكنه قُتل في الوقت الذي خرّ فيه الدب صريعاً.

وعندما أتى رفاقه للنظر إلى الدب بدأت أسنانه تهمس فعرفوا أن من قتل أوكاليك دب سحري[1].

ولأنهم لم يجدوا وسيلة ليسعفوه فقد أخذوا الرجل الميت معهم عائدين. عندئذ قالت أمه: «أرقدوه في منتصف الأرض وضعوا تحته جلداً».

(1) الدب السحري: مخلوق قام عدوّ ما بصنعه على نحو ما يصنع كائن التوبيلاك (المؤلف).

كانت تحتفظ بالرداء الذي ارتداه وهو طفل صغير، ولأنه الآن ميت، فقد وضعت الرداء في كيس وأخذته إلى المطبخ بالممر. وعندما وصلت هناك قالت: «لن آكل أو أشرب خمسة أيام».

ثم بدأت تهدهد الرداء في الكيس كأنه طفل. وظلت تهدهده حتى بدأ يتحرك أخيراً في الكيس. وبمجرد أن بدأ يتحرك خرج أحدهم من المنزل قائلاً: «بدأ أوكاليك يتحرك».

لكنها واصلت هدهدته، فبدأ أخيراً يحاول الزحف للخروج من الحقيبة. حينئذ قال أحدهم من المنزل: «بدأ أوكاليك يتنفس، وهو جالس الآن».

لم يكد يقول هذا حتى خرج ذلك الذي في الكيس، جاعلاً المنزل كله يرتجّ. فصنعوا فراشاً لأوكاليك على المقعد الجانبي ووضعوا جلوداً تحته وأجلسوه منتصب الظهر. وبعد مرور خمسة أيام على صيام الأم عن الأكل والشرب، استرد أوكاليك نفسه من جديد وبدأ يخرج للصيد ثانية.

ثم حلّ الشتاء، وغطى الجليد البحر، وبدأوا استحضار الأرواح. اقترب أهل القرية من بعضهم بعضاً، وراحوا جميعا يزورون أهالي القرى الأخرى.

اتخذ أوكاليك رحلته مع عائلته إلى قرية صغيرة، حيث

استدعتهم روح كبيرة. كان المنزل المقام هناك كبيراً به ثلاث نوافذ ومزدحماً بالناس.

وسط تحضير الروح كانت عجوز تجلس متربعة فوق المقعد وتستدير ناحية الآخرين وهي تقول: «سمعنا في الخريف الماضي أن أوكاليك قتله دب سحري».

ولم تكد تقول هذه الكلمات حتى التفت شيخ أعزب نحوها وهو يقول: «بالمناسبة، ألم يكن ذلك الدب السحري الذي قتله هو دبّك أنت؟».

فاستدارت العجوز ناحية الآخرين وهي تقول: «دبّي أنا؟ وأنّى لي أن أحتفظ بشيء كهذا؟».

لكن بعد أن قالت هذا الكلام لم تستطع الحركة. فقد نسيت أن تتنفس، لشعورها بالخزي حين كشفها الرجل الأعزب، فماتت في مكانها.

بعد ذلك عاد أوكاليك إلى منزله ولم يخرج لصيد الدببة قط.

وهكذا تنتهي الحكاية.

كاردليتوآرسوك

يُحكى أن كاردليتوآسوك كان له أخ صغير، وقد عاشا معاً في منزل يضم منازل أخرى كثيرة[1]. ذات خريف تجمد البحر من أول الساحل إلى آخره، ولم تبق ذرة فراغ يمكن للماء أن يخرج منها. بعدئذ حدثت مجاعة وقحط وبدأ القرويون يعرضون مجذاف مركب مكافأة لمن يزيل السحر عنهم. لكن لم يظهر ساحر بين أهل القرية.

ثم بدأ أخو كاردليتوآسوك الصغير يكلمه على النحو التالي: «يا كاردليتوآسوك، من الأفضل أن نفوز بهذا المجذاف الجديد». ثم تكشّف أن كاردليتوآسوك كان قد جلس سابقاً على ركبة أحد الحاضرين عندما كان يحضّر السحرة أرواحهم المساعدة[2].

وذات مساء بدأ كاردليتوآسوك ذات مساء يحضّر أرواحه المساعدة. فناداهم، ولدى استدعائهم خرج، ولدى خروجه نزل إلى حرف الماء زاحفاً خلال شق بين الأرض والجليد. ومن هناك بدأ السير على امتداد قاع البحر.

---

(1) في إحدى القرى (م).
(2) فانتقلت إليه القدرات السحرية (م).

ظل يسير وعندما وصل إلى عشب البحر بدا كأن هناك كلاباً راقدة بين الأعشاب. لكنها كانت أسماك قرش. عندئذ رأى منزلاً صغيراً فمضى نحوه. عندما وصل إلى المدخل كان ضيقاً مثل حدّ سكين امرأة. لكنه دخل على أي حال متتبعاً ذلك الطريق الذي كان ضيقاً مثل حدّ سكين امرأة. وعندما دخل وجد أم تورنانسوك، الروح التي تعيش هناك، وكانت تجلس قرب مصباحها وتبكي. راحت تطقطق أذنيها فنزلت منها أشياء غريبة. داخل مصباحها كانت تغطس طيور كثيرة، وداخل المنزل تتراقص فقمات كثيرة.

بدأ يَخِز المرأة الباكية بقسوة قدر استطاعته، ليشجّعها، فتشجّعت أخيراً، وحرّرت عدداً من الطيور، ورسمت إشارة للفقمات الكثيرة كي تسبح خارجة من المنزل. وعندما سبحت خارجة، رأت إحدى فقمات الزقاق البحري التي كانت تحبها كثيراً فاقتلعت عدداً من شعرات ظهرها، لتصنع منها سروالاً تلبسه عند صيدها.

بعد هذا كله، عادت للبيت وذهبت لترتاح من دون أن تنبس بكلمة. وحينما استيقظا في الصباح التالي، كان البحر داكناً أمامها، وقد ذاب الجليد كله. لكن عندما خرج أهل القرية قالت

لهم: «لا تصطادوا أكثر من فقمة، ومن يصطد منكم اثنتين فلن يستطيع الصيد ثانية».

ثم أضافت: «لو استطاع أحدكم صيد إحدى فقمات الزقاق البحري، ذات الرقعة العارية على ظهرها، عليه أن يعطيها لي لأصنع سروالاً».

حينما عادوا، كان كل صياد مع طريدته، أحدهم فقط اصطاد اثنتين. وذلك الذي اصطاد اثنتين يومها لم يستطع أن يصطاد أي فقمة بعدها. لكن الآخرين كانوا يصطادون دائماً حين يخرجون إلى البحر، وبعضهم يصطاد عدة مرات.

وهكذا فاز كاردليتوآسوك وأخوه الصغير بمكافأة المجذاف الجديد.

الغراب يريد زوجة

كانت عصفورة الدوريّ الصغيرة في حداد على زوجها الذي فقدته وكانت مغرمة به لأنه كان يصيد لها الديدان. وبينما جلست هناك تبكي، جاء غراب إليها وسألها: «لماذا تبكين؟».

فقالت العصفورة: «أبكي زوجي الذي فقدته وكنت مغرمة به، فقد كان يصيد لي الديدان».

قال الغراب: «ليس من العدل أن يبكي من يستطيع القفز فوق الأعشاب، فاتخذيني زوجاً لك، فلي جبهة عالية جميلة، وصدغان عريضان ولحية طويلة ومنقار كبير ويمكنك أن تنامي تحت جناحي، وسأعطيك بقايا الذبيحة لتأكليها».

فردت العصفورة: «لن أتخذك زوجاً لأن لك جبهة عالية وصدغين عريضين ولحية طويلة ومنقاراً كبيراً، ولأنك سوف تعطيني فضلات اللحم لآكلها».

وطار الغراب مبتعداً للبحث عن زوجة بين الإوز البري. وأعياه غرام إحداها حتى جافاه النوم. حين وصل إليها كانت على وشك أن تطير مبتعدة إلى أراض أخرى. فخاطب الغراب إوزتين: «لأن العصفورة البائسة رفضتني فقد جئت إليكما».

قالت الإوزتان: «نحن على وشك أن نطير».

فقال الغراب «سأذهب معكما».

ردّتا: «لكن خُذ بعين الاعتبار أن لا أحد يرافقنا إذا كان لا يعرف السباحة أو يطفو على سطح الماء، فلا توجد كتل جليدية طيلة الطريق الذي سنمضي به».

قال الغراب: «لا يهم، سأسبح في الهواء».

فطارت الإوزتان البريتان، ومعهما الغراب. لكنه شعر بعد قليل أنه سيقع من التعب وقلة النوم. فصاح وهو يلهث: «أريد شيئا لأرتاح عليه، اجثما جنباً لجنب». وجثمت زوجتاه معاً فوق الماء بينما طارت رفيقاتهما.

جثا الغراب عليهما وغطّ في النوم. لكن عندما رأت زوجتاه الإوزات الأخرى تبتعد أكثر فأكثر أسقطتا الغراب في البحر وطارتا خلف رفيقاتهما.

لهث الغراب قائلاً: «أريد شيئا أرتاح عليه»، وهو يسقط في الماء. وغاص في البحر.

وانتثر بعد وهلة إلى قطع صغيرة واستحالت روحه إلى غراب بحريّ صغير[1].

(1) حيوان رخوي أسود صغير (المؤلف).

الرجل الذي اتخذ ثعلبة زوجة

كان يا ما كان هناك رجل تمنى أن ينال زوجـة لا تشبه الزوجات الأخريات، فلمح ثعلبة صغيرة فأخذها وعاد بها إلى خيمته.

ذات يوم خرج للصيد، وفي طريق عودته، دُهش عندما رأى أن زوجته الثعلبة الصغيرة قد تحولت إلى امرأة حقيقية. صارت لها ضفيرة جميلة صنعتها من ذيلها. كما نزعت عنها جلدها الفرو. وعندما رآها على تلك الهيئة، فكر أنها جميلة بالفعل.

بدأت تتحدث عن الرحلات في البر وكم هي مشتاقة لرؤية الناس. وعندما خرجا معاً وصلا إلى موضع استقرا فيه.

هناك التقيا رجلاً كان يتخذ أرنبة صغيرة زوجة. وفكر الاثنان أنه سيكون أمراً جميلاً أن يتبادلا زوجتيهما. وهكذا فعلا.

لكن الرجل الذي اقترض الثعلبة بدأ ينفر منها بعد أن عاش معها قليلاً، فلديها رائحة ثعلبية ولم تكن تتمتع بأيّ ذوق.

وعندما لاحظت الثعلبة الصغيرة هذا، غضبت للغاية فقد كانت تتحرق شوقاً لتكون عند حسن ظن الرجال. فخبطت المصباح بذيلها، وانطلقت خارجة من المنزل وهربت بعيداً ناحية التلال.

صادفت فوق التلال ذكر دودة وظلت معه هناك.

لكن زوجها الذي كان مغرماً بها خرج يفتش عنها. وأخيراً وجدها بعد زمان طويل تعيش مع الدودة الذكر وكان يتخذ شكلاً بشرياً.

ثم تكشف أن ذكر الدودة هذا كان عدو الرجل قديماً. فقد حدث منذ زمان طويل أنه أحرق دودة فكانت روح تلك الدودة التي تتخذ الآن شكلاً بشرياً. واستطاع أن يرى علامات الحرق في وجهها.

لكن الدودة تحدّت الرجل في المصارعة بالأيدي وتصارعا، لكن الرجل سيطر بسهولة على الدودة وفاز في المصارعة.

بعدها خرج ولم يعد يهتم بزوجته على الإطلاق. سار هائماً فوصل إلى ساكني الشواطئ. كانت لهم منازل على الشاطئ موسومة بعلامات المد.

كانت منازلهم صغيرة وساكنوها أقزام يطلق عليهم اسم العيدر[1] لكنهم يشبهون البشر تماماً، ولم يكونوا خطرين على الأقل. لم نعد نرى هذه المخلوقات الآن، لكن أسلافنا أخبرونا عنها لأنهم عرفوها. وعندما رأى الرجل منازلها المسقوفة بالحجارة حاول أن يدخلها، لكن كان عليه أن يصغّر نفسه، وهذا أمر يسير فقد كان ساحراً كبيراً.

وبمجرد أن دخل أحضروا لحماً ووضعوه أمامه. كانت تلك الزعنفة الأمامية الكاملة من فظ كبير، ولم تكن في الواقع أكبر من جناح عيدر، فانقضوا عليها جميعاً، لكنهم لم ينتهوا منها.

بعد أن مكث مع هؤلاء الناس زماناً، عاد إلى منزله.

وليس عندي المزيد لأحكي عنه.

(1) العيدر: بط ناعم الزغب (م)

الدب الأكبر

هربت امرأة من بيتها بعد أن مات طفلها. ثم وصلت إلى منزل. وجدت في الممر جلود دببة، فعرفت أنه مكان تعيش فيه دببة على شكل إنسان.

لهذا بقيت معهم. اعتاد دب كبير أن يخرج للصيد لتوفير الطعام لهم. كان يلبس جلدهم ويخرج ويمكث وقتاً طويلاً ثم يعود دائماً بالصيد.

ذات يوم بدأت المرأة التي هربت تحسّ بالحنين إلى موطنها حيث عشيرتها، فتحدث إليها الدب قائلاً: «لا تأتي على ذكرنا إلى الناس حين تعودين، لأننا نخشى أن يقتلوا ديسيمن منا».

لكن المرأة لم تتمالك نفسها بعد عودتها عن الحديث عما رأته. وذات يوم جلست مع زوجها في المنزل وقالت له: «لقد رأيت دببة».

اندفعت زلاجات كبيرة باتجاه بيت الدببة، عندما رآهم الدب

قادمين نحو منزله، أحس بالخوف على ديسميه أن تصدمهما الزلاجات، فيُقتلا أو يسقطا بين أيدي الرجال.

لكنه اندفع عندئذ ليجد المرأة التي خانته. اقتحم منزلها وعضها حتى الموت. وعندما خرج تحلّقت حوله الكلاب وهجمت عليه. قاومهم الدب لكنهم فجأة سطعوا بشكل غريب صاعدين إلى السماء على شكل نجوم. وهي ما يمكن أن ندعوها كيلوغتوسات[1]، وهي النجوم التي تشبه الكلاب النابحة حول دب.

ومنذ ذلك الوقت تعلم الناس أن يحذروا الدببة، لأنها تسمع ما يقولون.

(1) كوكبة الدب الأكبر من أكثر الكوكبات النجمية شهرة وكان العرب يسمونها «بنات نعش الكبرى» تمييزاً لها عن بنات نعش الصغرى، وهي مجموعة الدب الأصغر (م)

الرجل الذي صار نجماً

كان هناك شيخ يقف على الجليد منتظراً ظهور فقمة لتتنفس. لكن على الشط المقابل هناك جمع من الأطفال يلعبون في واد صغير ضيق شديد الانحدار. وفي كل مرة يوجه رمحه نحو فقمة، كانت أصوات الأطفال تخيفها فتهرب مبتعدة. وأخيراً ثار غضب الشيخ منهم، لأنهم كانوا يفسدون صيده، فنادى: «انغلق أيها الوادي على مَن يفسدون عليّ صيدي».

وعلى الفور انغلق الوادي على الأطفال وهم يلعبون. وتمزق معطف فرو إحدى الفتيات وكانت تحمل أخاها الصغير.

راحوا جميعاً يصرخون داخل الوادي، لأنهم لم يستطيعوا الخروج. ولم يستطع أحد منهم أن ينال طعاماً، فقد كان الماء هو كل ما يمكنهم الحصول عليه عبر شق في الوادي، فظلوا يلحسونه من الجوانب. وماتوا كلهم أخيراً من الجوع.

هجم الجيران على الشيخ الذي أغلق الوادي على الأطفال بالسحر. لكنه طار فلحقه الآخرون. صاروا جميعاً يلمعون وصعدوا إلى السماء مثل نجم كبير. نراه الآن في الغرب عندما تبدأ الأنوار تنحسر بعد ظلام كبير. لكن النجم منخفض ولا يستطيع الصعود عالياً في السماء. ونطلق عليه اسم نالوسارتوق: الرجل الذي يقف ويستمع. ذلك النجم الذي نعرفه باسم الزهرة. أي «المتسمع». ربما يكون مثل رجل يقف متسمعاً وهو يترقّب بروز فقمة لكي تتنفس.

المرأة ذات الذيل الحديدي

حدث أن كان لامرأة ذيل حديديّ، والأسوأ من هذا أنها كانت تلتهم الرجال. حين يأتي غريب ليزورها تنتظر حتى يستغرق في النوم ثم تقفز في الهواء لتسقط عليه[1] وتثقب جسده بذيلها.

ذات يوم جاء رجل إلى بيتها ثم رقد لينام. وحين ظنت أنه غطّ في النوم أخذت تقفز حوله ثم سقطت عليه. لكن الرجل لم يكن نائما قطّ، فنحى نفسه جانباً حتى سقطت المرأة على حجر وكُسر ذيلها. خرج الرجل فاراً إلى قاربه فخرجت تلاحقه. وحين وصلت إليه صرخت: «آه لو أغرز سكيني فيه».

ثم صاحت فانزعج الرجل من قوة كلماتها. صاح الرجل في المقابل: «آه لو أستطيع أن أغرز حربتي فيها».

وكانت قوة كلماته عظيمة مما جعلها تسقط إلى الأرض.

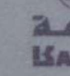
فرّ الرجل مجذفاً ولم تقتل المرأة أي أحد بعده لأن ذيلها قد كُسر.

---

(1) تنقض عليه وتفترسه (م).

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة








ISBN 978-9948-01-336-5